الجزء الثاني

في غرر فوائد الاصلاح الموهومة

قد لاق بنا قبل ان نشرع في الجزء الثاني من بحثنا عن الاصلاح الموهوم ان نقرر ما قد تقدم ذكره في الجزء الاول تسهيلاً على القاري اللبيب . فلما كان ناشر تاريخ الاصلاح الموهوم قد امتطى مطايا الضلال وركب جواد الاوهام وقدم للناس الخرافات بدلاً عن الحقائق بادرنا لكشف الحجاب عن تلك الاضاليل وتسلحنا بحقيقة التاريخ فاهدينا القاري الى الطريق الصحيح واوقفناه على صحة الاثار الجلية التي اوضحت لنا ما كان لوتيروس امام الابروتستانية الذي رام ناشر تاريخ الاصلاح في اقطار سورية ان يستره بثوب الكمال ويوشحه بوشاح العظمة والجلال وينزله منزلة ابطال الرجال وانه الامام الاكبر وجليل المخبر والمخبر . فان سألتني كيف ساغ لناشر ذلك التاريخ ان يضع امام بدعة انطوى تحت لوائها في منزلة عالية ودرجة سامية وسربله بتلك الحلل اجبتك انه يعسر عليّ جدًا ان اهديك الى ينبوع ما قال ومصدر ما ابان غير اني لقائل الحق وناطق بالصدق المحض بان لاشيء من ذلك في التاريخ ولم ينبئنا عنه صاحب النقل الصحيح

فلذا لما رايت ناشر تلك الاساطير قد ضل عن سواء الطريق اخذت بالتحقيق فجئت بالحجة التاريخية المستندة وبالاثار المعتمدة سدًّا لمقال اساطير وهداية لمن وقف على اضاليله

فبينا لابناء الاقطار السورية وسكان الافاق الشرقية بتآليف لوتيروس امام الابروتستانية وما كتبه عنه مؤرخوا عصره والذين قد جاءوا من بعده وقد اعتمد اقوالهم مشاهير العلماء ونخب الادباء من الابروتستانت انفسهم فاتضح الحق وزهق الباطل وانقشع الحجاب وعلم كل من قصة لوتيروس واسوره ما قد ضرب على شكك الادلة الصحيحة والبراهين السديدة وحتى في كور الاستحان وسكب في قالب الانتقاد فكان خلافًا لما سطره ناشر ذلك التاريخ وعكسًا لما لفقه صاحب ذلك التلفيق لكن ليس علينا من حرج فان رام ملامًا فدونه وان يلوم التاريخ فان ذا لقاضٍ عادل لا يأخذ بالوجوه فان ابطى باصدار الحكم والقى حكمه على اولي الفهم فلا باس من التاخير فقد استقامت منه الاحكام ومن انصف لا يلام

فمن رام هداية الى سواء الطريق والوقوف على ما كان حقًا حقيق فقد اهديناه الى محجة الطريق ومن هام الى الاوهام وجنح الى الازعام ورام تعليل المخيلة بالاصلاح فقد اجاد ناشر تاريخ الاصلاح الموهوم بالتمويه واحسن التدليس والتلبيق ووشي الزيوف ونمق الالوان فليعتمده من رام الانخداع ويقصده من تاق الى الخرافات واشغل اذهانه بالخزعبلات

اما حقيقة الحال على ما تناقلتها الاجيال فقد اجدنا بها المقال اذ هدينا القارئ اللبيب الى الينابيع الصحيحة والمصادر الحقيقة ذاكرين له ما

حكم به لوتيروس نفسه في اخر حياته عن مشروعه وما نتج عن هذا المشروع من النتائج والمفعول ولما كان من قصد ناشر قصة حياته ان يعطي عظمة لامامه ذاكرًا من تقدمه كانهم طلائع قوته ومهدوا طريقه فاستشرنا التاريخ بهذا الشان فجئنا باحسن تبيان موضحين ما جاء في التاريخ عن سمات رب الاصلاح واقرانه وما امتازوا به من المزايا الخاصة فراينا هم من اهل التمرد والعصيان على كل سلطة شرعية وسلطان بامر المدنية والاديان فتاكد القاري ذلك التمرد القبيح والعصيان الفظيع الذي اهاجته مبادي الاصلاح في الاقطار الجيرمانية حينما اصبحت السلطة نسيًا منسيًا وبينا له قيمة مشروع ذلك الامام الجاحد وكيف حاول اسناد اعماله على اركان شرعية فانتقدها الانتقاد فكانت افكًا محضًا واطلعناه على تعرضات المبدع لكتاب الله الشريف وكيف انشغل بترجمته فكانت حسب اهوائه فانزلها علماء الابروتستانية منزلة الزيوف وحكموا بفسادها اذ كان عن صحة الاصل ابتعادها ولم نكتم عن مبداء حرية تفسير الكتاب لكل من الناس فجاءت نتيجة هذا المبداء الوخيم بالمفاعيل المضحكة الفظيعة معًا فكان مبداء مجهولاً فبانت محاليته اذ لا اسناد له في نفس الكتاب اما بنتائجه الفعلية ومفاعيله الادبية فقد ظهرت للعيان لدى كل انسان فكفاك عنها شاهدًا ذلك المشهد المضحك الذي جرى في بارجة الدب الاسود في بينا

فاذا ما اعتمد القاري على ما قررناه في الجزء الاول من بحثنا اذانه قد بني على صحة التاريخ الصادق اتخذه مقياسًا قاس به ما اودعه ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم اساطيره النموذجية العارية عن كل اسناد والخالية عن كل ادلة فقد قصد مطالعوا التاريخ الوقوف على حقائقه ووثقوا

بايرادات مسطرية لزعمهم انها صادقة ولولا ذلك لما القوا عليها الالحاظ فاين ادلتك الراهنة يا من تعرضت لتاريخ الاصلاح الموهوم وما هي حوادث تذكرها واين حجج تستند عليها فان كانت لا صحة لامور ادرجتها ولا حجة راهنة تسند اقوالك عليها فلمَ تنزل خزعبلاتك منزلة الحقائق التاريخية

وما قد اولانا كل العجب جسارة من برز الى الميدان في هذا العصر والاوان ونشر مثل هذه السلع وبسط كذا بضائع ولم يكتفِ بمثل هذه الازعام بل تعظيمًا لشان ايمة المبدعين الذين فسدوا الدين زعم بان مبدعي الابروتستانية قد ساعدوا على توسيع دائرة المعارف وفتحوا ميدانًا للعلوم والصنائع واعتقوا حرية الشعوب فاولوا فضلاً عظيمًا لكل ما انطوى تحت لفظة تمدن في الاقطار الغربية وان ذا لعمري لخطاء جسيم وضلال مبين

فمن ثم شرعنا في الجزء الثاني بالبحث عن هذا الامر الجزيل الاهمية فازحنا الحجاب عن هذه الازعام الابروتستانية وعرّيناها عن التمويه وبينا سخافة ادلتها وكذب مؤيداتها وخلعنا عنها ثوب السفسطيات لنرى هل يليق ان تذكر بين الحقيقيات فاعتمدنا بذلك قول التاريخ الصادق وما علمته الفلسفة المحضة فعندها يعلم القاري اللبيب كيف يبرز حكمه الصادق على تلفيق ملفق ذلك التاريخ الذي تراه في هذا وفي غيره من الحديثين فلا يدري ما يقول وعن هذا ادلة واضحة تراها في مقالتنا هذه الثانية واذا ما سالته ان اثبت لي يا صاح ما قلته واكد لي حقيقة ما اوردته رايت برهانه قد لبث في شق القلم ودليله في قعر المحبرة وبدلاً عن ذلك عهدته قد امتاز بمزية ايمته الاولين من الطعن ببيعة الله المقدسة

وان مكنته الفرصة او لم تمكن غمس قلمه في وحول اية الابر وتسنانية ورشق به بدون حياء ولا خجل وجوه ابناء الكنيسة الكاثوليكية الحقيقية

فلذا لاق بنا احيانًا ان نتعرض لسوء تصرفاته وقبيح معاملته فمن ثم كان لابد من الكلام عن بعض الحقائق الدينية ونعلم ناشر تلك الاساطير بان طعنه في الكنيسة ركن الدين ان هو الا تجديف وانه قد لا يعلم بانه من المجدفين

لكننا في كل ذلك لا نتسلح بحركات الغضب ولا نغمس قلمنا بمرارة الطعن والقدح ولا نلتفت في الابحاث للاشخاص بل الى المسالة وحدها عنزل عن الناس وان اقتدى ناشر التاريخ بمعلميه الاقدمين واخذ بالتفاته الى الكاثوليكيين بركب مطايا الغضب ويجري به جواد الاحداد وان اعتذر طورًا عن سوء تصرفاته لما نابه من ملام اهل العرض والصلاح على ما فعل في نشرته رايته لم يخل بمبدا امام الاصلاح اذ قال عن نفسه :ان بي كلابًا ثلثة من الاردياء وهذه الكلاب الثلثة هي النكود والكبريا والحسد قد اماتت من عضته واني من قد اصطلح مزاجه بالغضب وبه شحذ سنان قريحته فاحسن شي الفته ما لقني الغضب اياه وسطرته وفوادي بنار الاحداد قد انقد . اه

اما نحن فانا تاركون هذه الضاريات الثلث الى رب الاصلاح ولمن حذا حذوه فلا يخرجنا نيجها عن دائرة الاعتدال لاسيما وقد تطلبت دعوى تدافع عنها الوقوف عند حدود اللياقة والادب لان امر الكنيسة الكاثوليكية واحبارها الكرام الذي كثيرًا ما تكلم عنهم ذلك التاريخ باحتقار لجهل صاحبه وتوغله في اقفار الضلال يمنعنا عن ان نخوض وحول النذالة مثله اذ لا يليق ذلك باللياقة والحمية المسيحية

واننا لقائلون مع احد مشاهير شعراء الاقدمية الشهير بسلامة ذوقهِ وسمو لطف شعايرهِ: انا نخوض المبدان حتى وفي هذا الان رافعين راية الحق فنحارب متاكدين النصر. ونجاهد موقنين بالفتح وراية الاداب منشورة متوكلين على الاله القدير فانه للحق نصير، والمدافعين عنهُ ظهير

الفصل الاول

في تفنيد تاريخ القوم الفودوا
على ما نشرته نشرة انجيليّ بيروت الاسبوعية

سنة ١٨٧٢ (٥١ : ٥٢) وسنة ١٨٧٣ (١ : ١٠)

قد نشرت النشرة الاسبوعية الابروتستانية في بيروت اوراقًا عنوانها تاريخ الفودوا وهو عبارة عن نسيج حكايا وخرافات اشحنت بها تلك الوريقات غير ان عقلاً ثاقبًا اخترعهُ ويدًا قوية سطرتهُ قد حلّته بالافتراء وزينتهُ بالشتائم على الكنيسة الكاثوليكية وراسها الاعظم وشحنهُ بوشايج العظمة الفارغة قائلةً · ان في مطالعتهِ فوائد للعالم المتمدن

ولسائل ان يسال من هو صاحب تاريخ الفودوا فاني اجيبهُ في الحال انهُ قد اخفى علينا اسمهُ ولا حرج عليهِ اذ قد تعمّد اسباب على ذلك ولا غرو فاني اعذرهُ كل المعذرة لكتمهِ اسمهُ الكريم فكيف نطلب منهُ

يا هذا ان يبيح باسمهِ هل تقصد فضيحتهُ وتروم هتك حرمته انعزم بان في ذكر اسمه فخرًا له لعمري اني لم ارَ رائحة الحكمة في كل ما نشره صاحب هذه الوريقات اما كتمان اسمه فكان عن حكمة تامة كيف لا يدعى حكيمًا من لم يشأ ان ينسب لنفسهِ التلفيق ويعزي اليها الحكايا والاكاذيب وقد انزلها منزلة التاريخ الصادق

لكن قد خابت منهُ الامال على انه مهما حاول صاحبنا التنكير فقد ظهر لنا من وراء برقع شفاف فاني لعارف بهِ رجلاً قد اتحفنا بالرد على ردنا كشف التلاعب والتحريف فعبثًا تحاول يا هذا حجبك عن اعيننا فان ما في ارتداع السهام على اليسوعي فان هام من الادعاء الباطل والعظمة الفارغة والعري التام عن الادلة والبرهان اكد لنا بانهُ وتاريخ الفودوا اخان توأمان وفاتحا رحم واحد

فقلت بعد ان انفخ القلب عناء من مطالعة تلك الاساطير ما الذي حمل صاحبها على تلفيقها ورايناه قد هام شوقًا اليها وانشغف غرامًا بتلك الاقوام المجهولة وبتعاليم وعوائد عزاها اليهم فاجابني العقل لِمَ هذا الاعتراض ألا تعلم ان ليس على الذوق جدال وان الناس في ما يعشقون مذاهب فرضخت لحكم العقل وقلت لصاحبنا دونك وان تملئ الصحف فما علينا الاَّ ان نزن اقوالك بميزان الانتقاد فيستخرج منها العالم المتمدن ما وعدته بهِ من الفرائد النفيسة

لكن من تكرم بهذه المواعيد وجب عليهِ ان يسندها على اسانيد فترى على مَ اسندت تاريخك ان قلت على مخيلتك فانها محكمة بالاوهام لا بالتاريخ وان قلت على تواريخ صادقة فقد كذبتك واقعة الحال فلا يكفي التاريخ ان يدعى تاريخًا بل قد وجب اسناده على صحة القول

والنقل واين هذه الصحة من اساطيرك حيث اطنبت بمدح القوم الفودوا فقدمتهم للناس مثالاً واستقليت كلامك قائلاً : ان تعليمهم هو عين تعليم الابروتستانت

ان الفودوا اقوام ذوي رفض وتعصب وهذا ما لا يختلف به اثنان اما قولك ان تعليمهم هو عين تعليم الابروتستانية فهذا محض الهذيان على ان التاريخ الصادق قد اعلمنا موكدًا وانبانا محققًا بان الفودوا قد صاروا ابروتستانت منذ عهد بوسير وايكوليمباد من ائمة الابروتستانت وان الفودوا لعظم ما قاسوه من الاضطهاد من قبل الابروتستانت تركوا جانبًا من تعاليمهم القديمة وانفسدوا بتعاليم الابروتستانية فما مثلهم الاَّ مثل بعض مسيحيي المشرق اولئك الذين يكفرون بمذهب ابائهم ويحازون الى الابروتستانية انحيازًا

ففي ما قلناه محض الصحة التاريخية وعن ذلك ياتي البرهان الساطع والدليل القاطع أما الذي حمل هذا المؤرخ الابروتستاني على هذا الزعم الفاسد فهو انهُ لما رام يجلب بدعهُ يجلباب القدمية وشحها بوشاح الفودواوية وقال عن هذه انها ذات قدمية رسولية وقفز من الجيل الثامن والتاسع للدين المسيحي الى الجيل الثالث وان هو الاَّ مشعبذ يقفز على سلسلة التاريخ وهل تنكر عليهِ خفة الحركة وقد قفز فوق اجيال ثمانية

فكذب ما كذب ولفق ما لفق في عصر يدعى عصر الانوار والابلغ من كل ذلك انهُ صاحب تاريخ الفودوازعم ان في ما سطره فوائد لتمدن العصر . إلامَ تغطون يا ايها الاقوام مطاليا الاكاذيب وما الذي تقصدونهُ بهذه الاساليب هل خلتم السوريين العوبة بهم تلعبون

ام توهموهم انهم بكذبكم لايشعرون ولفساد بضاعتكم لاينتقدون. مهلاً يا ايها الاقوام فان كنتم لاتلتفتون احتراماً الى السوريين فان السوريين قد غاروا على شانكم وراموا انكم تضربون عن خزعبلاتكم وما ذاك الاَّ حفظاً لاعتباركم

فقد قضى العقل الثاقب على اساطير انزلتموها منزلة التاريخ وميز الاهلون بين الصحيح والفاسد غير انهُ زيادةً للايضاح باشرنا بتفنيدها مستندين على اشهر علماء الابروتستانية فمنهم العلامة هيرزوغ معلم التاريخ في اشهر المدارس الكلية البروتستانية في المانيا الذي قد نشر متاخراً في هالل سنة ١٨٥٣ تاليفاً نفيساً (سماه فودوا الرومانية) بين فيهِ ما ارتكبهُ ابناء ملته من الاضاليل التاريخية ولفقوه من الحكايا الخزعبلية لاسيما في التواريخ الفودواوية

فان نابك يامن انخفت سورية بتاريخ الفودواوية صنعة صنعك بها العلامة المشار اليهِ فلا حرج علينا بذلك اذ قد ادبك ابن ملتك وكذبك علامة مذهبك

نشدتك بالله الحق ان تتصفح وجه ٢٩٨ من صفحات تاليف العلامة هيرزوغ المشار اليهِ فترى اسماً سماك بهِ ومن حذو حذوك او من حذوت حذوهم فلا غرو انك ان سمعت بهذا الاسم كتمته كما كتمت علينا اسمك غير اننا افادةً للعالم المتمدن ابحنا بهِ وقلنا ان العلامة المشار اليهِ قد سمى ملفقين لاموءرخين اناساً قصوا قصة الفودوا على ما قصها صاحب الوريقات وابان تلفيقهم كالشمس في رابعة النهار وفي ما اورده من البراهين الساطعة والادلة القاطعة ما يقنع العاقل بحب الحق ويخزي كذب الكاذب الجانح عن محجة الحق

الفصل الثاني

في تاريخ القوم الفودوا على ما افادنا به التاريخ الصحيح

لعمري من هم الفودوا وهل تعاليمهم هي عين تعاليم الابر وتستانت على ما زعمه صاحب تاريخ الاصلاح في تلفيقه فاننا قد اعتمدنا في هذا البحث كلام العلامة هيرزوغ الابر وتستاني المار ذكره لحكمه الصائب العاري عن الاغراض فقد افتتح هذا العلامة بحثه في هذه المسالة بكلام الاباء المصطفى القائل : لا نستطيع ان نعمل شيئًا يضاد الحق بل ما فيه النصرة للحق (قرنثية ثانية ١٣ : ٨)

فان العلامة المذكور لما علم تلاعب جماعته بصحة التاريخ واتضحت لديه الحقيقة ابى الآن يبيح بها قائلاً عن نفسه اني عالم بكون كثيرين قد تعاموا ميلاً نحو الفودوا ويشق عليهم جدًّا ان يروا بناء ادلة واهنة بنوها على احتيال دعوه مقدسًا قد هبط لكن ما العمل فان التاريخ قد بني على الحجج الراهنة والادلة القاطعة وليس هو تلفيق تخترعه المخيلة

فعن السوال الاول وهو : ماهم الفودوا فقد اجاب التاريخ قائلاً: ان الفودوا هم صعاليك ليون وقد تسموا باسم بطرس فالدو الذي ولد في قصبة تدعى فود من ولاية الدوفيني في فرنسا وتسمى باسمها

فقد دعوا هولاء الاقوام صعاليك ليون لفقر كانوا يزدهون به ولما كانت مدينة ليون تُدعى وقتئذٍ لاونا (لفظة لاتينية) دُعوا هولاء الاقوام ايضًا لاونيين نسبةً اليها

ثم انهم كانوا يُدعون ايضًا اينساباتيس وهي لفظة غالية اي ماخوذة عن لغة الغلوا القديمة معناها حِذاء وذلك لاحذية خصوصية كان الاقوام المذكورون يحذونها وقد شقوا وجهها الاعلى فبان ظهر اقدامهم على مثال الرسل الكرام . وقد ذكرنا هذا الحذاء واللقب لانها من سمات هولاء الجماعة الخاصة على ما يتضح لديك في ما ياتي تقريبه

فاذا كان ذلك فدونك الان ملخص تاريخ الفودوا على ما نصهُ مؤرخوا اعصارهم الذين عرفوهم واطلعوا على احوالهم وتعاليمهم وشاهدوا تصرفاتهم وظهرت لهم مقاصدهم

قال المؤرخ رينير في كتاب عنوانه الارانقة وقد كتبهُ في سنة ١٢٥٠ ان فالدو الرجل التاجر من ليون لما كان باجتماع مع اهل حرفته وقد اثر بهِ موت فجائي الم وقتئذٍ باحد اغنياء تلك المدينة بادر حالاً فوزع ماله على الفقراء وضم لنفسهِ جماعة وعلهم الفقر الاختياري وان يقتدوا بسيرة السيد المسيح لاسمهِ السجود وسيرة رسلهِ الكرام

قال المؤرخ بطرس بيلكدورف (في كتابهِ الرابع ضد الفودوا وهو شاهد عيان للفودوا في حال سطوتهم فاعرب عن تعاليمهم وعن سيرتهم بعبارة جلية ان الرجل المسمى فالدو لما كان قد اثر بهِ تعليم الانجيل عن فضيلة الفقر توهم ان الحيوة الرسولية قد اضمحلت عن وجه الارض فرام تجديدها فباع مقتناه فحذا حذوه كثيرون وانضموا اليهِ لاجل هذه الغاية

هذه هي حقيقة اصل الجماعة الفودوا غير انهم اخذوا مع الايام يتخلقون اخلاقًا جديدة

افاد العلامة ايبرارد من بيتون في تاليفهِ الذي عنوانهُ ضد

الارطقة انهُ من مزايا العوام الفودوا ازدهاء كان عن حجرفة وفقرٍ قد جُبل بطين البطالة . قال انك ترى هولاء الانسباتيس حناة الارجل او بالحري قد احتذوا احذية مكشوفة الوجه فيستعطون ولا يقتاتون الاَّ من الصدقة غير انهم يُعابون لتظاهرهم وتفاخرهم

فان مثل هذه التطرفات المجبولة بالاميال الشاذة لا تقف عن حدود على ان الفودوا لم يلبثوا قليلاً على هذا الفقر الرسولي الموهوم الاَّ قد اخذوا يعتبرون على ما انبانا بهِ العلامة بطرس بيلكدورف ان الرسل لم يكونوا فقراء فقط بل كانوا ايضاً مبشرين بالانجيل فشرعوا من ثم يبشرون اقتفاء باثار رسل الله الكرام فادعى التبشير رجالهم ونساؤهم . فلما كانت بيعة الله المقدسة قد ايتمها تعالى وحدها على رسالة تعليم الامم ووعدها الكلمة المتجسدة بانهُ يكون دائماً معها . هل تسكت عن جهل الجهلاء وحماقة الحمقاء . لا لعمري بل انها قاومت جنونهم فقد لفق صاحب تاريخ الاصلاح هذه المقاومة تلفيقاً ناسب مجموع تلفيقهِ فقال عن الكنيسة : انها عاملتهم ضرباً وقتلاً فسفكت دماءهم وداست على جثث قتلاهم وناهيك وناهيك . .

اما التاريخ الصادق والنقل الصحيح المثبوت بادلة راهنة وحجج قاطعة فقد ابانا بان الكنيسة لما كانت اماً فقد عاملتهم بحنو والدي ساعية مدة ٥٠ سنة بترجيع هذه الاغنام الضالة الى حظيرة الخلاص فارشدتهم وعلمتهم وجادلتهم وباحثتهم فنص لنا الاب برنردوس دي فونكولد ما جرى في مباحثات حضرها فقال . فمما وقع على الفودوا من اللوم دعواهم بالتبشير رجالاً ونساء قهراً عن نهي الرؤساء لا سيما وقد ثبت من كتاب الله الشريف ان النساء يلزمهنَّ بان يكنَّ في

البيعات صوامات فان ليس ماذون لهنّ في ان يتكلمن بل يخضعن (قرنثية اولى ١٤ : ٣٤)

فكان الحكم الحكم على هذه المباحثة رجل امتاز تقى وقداسة وهو حضرة بطرس المعروف باسم رايوندرس ديفانتير

افا ان ذا دليل قاطع على طول اناة بيعة الله المقدسة اذ انها قد صرفت خمسين سنة كاملة تباحث هولاء الاقوام وتجادلهم ولم تبدِ نحوهم شيئًا يغاير الحنو الوالدي والغيرة الرسولية

ففي سنة ١٢٠٦ جرت مباحثة اخرى معهم فظهر فيها حداعهم وقصرت حجتهم على ما انبانا العلامة بطرس دي فوشيرني في تاريخ الالبجيين

فاخيرًا في سنة ١٢١٢ حضر الفودوا الى رومية وقد التمسوا من السدة الرسولية التصديق على بدعتهم

قال المؤرخ الاب كونراد دورسبيرج وقد عاين هولاء الاقوام وقتئذٍ في رومية ان ما قد اثر بسكان رومية وبالحبر الاعظم نفسه مشاهدتهم غرابة هولاء صعاليك ليون الذين قد امتازوا بتظاهرهم بفقر رسولي واحذيتهم المكشوفة الوجه وان جمعياتهم قد وطّأت شان الكنيسة والكهنوت فاندهل البابا من ازدهائهم بتلك الاحذية وبقلنسوة غطت روسهم على مثال الرهبان وبشعورهم الطويلة نظير العوام

فلا غرو ان مثل هذه الغرابات تخفي تحتها ما كان مرذولاً وتنتهي باهلها بما لايرام من التورطات

فقد اتضح مما تقدم حال هذه البدعة في انتشائها. فان هي الاّ ضرب اخر من شيعة الدوناتيستيين الذين كان يحاربهم القديس اغستينوس

في عصر اما الفرق بينها فهو ان الدوناتيستيين كانوا يعلمون ان الاسرار تمنح النعمة بفعل الفاعل لا بفعل المفعول اما الفاعل فهو كاهن اما الفودوا فقد علموا هذا التعليم عينهُ غير ان الفاعل عندهم قد يكون كاهنًا او عاميًا لاسيما اذا اهتدى اهذيتهم الرسمية وقد توصلوا الى هذا الحد بعد مدةٍ لشكهم بسيرة بعض الكهنة فارتابوا منح الاسرار من العوام اذا كانوا اولي سيرة ممدوحة هذا ما قاله المورخ بطرس بيلكدورف

فاذا كان ذلك هل يسوغ لصاحب تاريخ الاصلاح ان يقول ان تعليم الفودوا هو عين تعليم الابروتستانت فيما ان هولاء ينكرون الاسرار واولئك يقرون بها حتى وقد مسخها عوامهم فاين الاسرار عند انجيلي بيروت واين الاعتراف واين الحل واين الالتجاء الى حكم الحبر الاعظم فهذه كلها كانت عند الفوداوين وان ضلوا تعليمًا

فهذا هو اصل الفودوا وهذا تعليمهم فاذا كان ذلك فعلى حسب التمدن ان يقدم لنا الفوائد الناجمة للعالم المتمدن عن تاريخ الفودوا فلقد تكون هذه الفوائد محصورة على ما في عقل صاحب تاريخ الاصلاح باحذية هولاء الاقوام وهي ان تكون نعلاً لا وجه له يقي الاقدام ويعرض ظهر الارجل للحر والبرد او لمجرد التظاهر بالتقشفات. فعليهِ اذًا وعلى من اصاخ سمعًا لتلفيقاتهِ ان يحذو حذو هولاء الاقوام الذين هم مثال التمدن لديهِ

اما بيعة الله تعالى فلم تكن لتلتفت لمثل هذه الغرابات رأيًا وتلفتًا بل قد اقيمت من الله حكمًا معصومًا بامر التعليم والتهذيب فبحثت في بدعة الفودوا فراتها ضربًا من الجهالة فلذا لم تعقد مجمعًا وتحرم عقائدهم

على ما فعلت ضد الابروتستانت وهذا دليل واضح على البون الظاهر بين البدعتين لا على عين التعليم على ما زعم صاحب التاريخ الموهوم

فان كل ما جاء عن عمل الكنيسة وقد تعلق بامر الفودوا هو ان المجمع اللاتراني الذي عقده البابا اينوشنسيوس الثالث قد لمح بعض التلميح عنهم بحرمه الاراطقة اذ ضم اليهم ايضاً اولئك الذين قد نسبوا لانفسهم بحجة التقوى سلطان التبشير ولم يكونوا مدعوين

قال المؤرخ كونراد دورسبورج : في تلك الاثناء ثبت البابا قوانين الرهبان الصغار المنطوين تحت قانون القديس فرنسيس مثال التواضع ليكونوا مثالاً للفقر المسيحي وللطاعة التامة فكانوا حقاً فقراء انجيليين لا اهل ازدهاء وعجرفة ونعمت وعناد نظير الفودوا

الفصل الثالث

ان ملفق تاريخ الفودوا الانجيلي البيروتي قد اتخذ تافيقاته سلاحاً يحارب بهِ بيعة الله المقدسة طاعناً بحق روسائها الكرام وقادحاً بحق ابنائها الصحيحي الايمان

لما كان لكل ملفق من غاية قصدها ولكل محرف من مقاصد اعتمدها وكان ارباب تحريف كتاب الله الشريف وملفقي تواريخ

وهميّة لم يقصدوا بالتحريف مجرد التحريف ولا بالتلفيق مجرد التلفيق بل قد حرفوا وصحفوا ولفقوا وكذبوا لغاياتٍ قصدوها ولمآرب ابتغوها لم نكتفِ بدحض آرائهم وبيان فساد مقاصدهم وتفنيد ازعامهم بل قد تتبعنا خطواتهم وقشعنا البرقع عن خبث دسايسهم

فلو كان ملفق تاريخ الفودوا قد وقف عند مجرد التلفيق لكان ما قد بيناه من وهن ادلته وكذب اساطين كافيًا لتزييفه اذ قد تكلم التاريخ الصادق وظهرت الحجة الراهنة واتضحت اقوال التواريخ الصادقة وانجلت حقايقه الباهرة ونهض حتى علماء الابروتستانية انفسهم وسدوا فاه الملفقين لصحة انتقادهم وتسلح العلامة هيرزوغ الابروتستاني بعصا التاديب فادب كل ملفق لتاريخ الفودوا فاتضح من ثم تلاعب المتلاعبين وبان فساد المفسدين فوسمت جباههم بسمات العار فاصبحت عبرة لمن اعتبر

غير ان الذين قد حملتهم الوقاحة على التلاعب لم يكونوا ليقفوا عند هذا التلاعب بل قد ركبوا مطايا التلفيق لينزلوا ميادين الافتراء شاحذين اسنة الطعن ورامين بسهام القدح هتكًا لحرمة الاداب ودوسًا لحقوق اللياقة فافتروا على ما كان مقدسًا وشتموا من قد استووا على عرش الحق وناضلوا عن الدين والعدل فاتشحوا بلباس الحرمة فاهنى اهل الاعتبار لهم الرؤوس اعتبارًا واحتفوهم بجيوش الاحترام وعاملوهم بما لاق من الاكرام

فلذا لم نكتفِ باعلان تلفيق الملفقين وكشف البرقع عن محيا فساد المفسدين بل نازلناهم بالمضمار وبينا هذرهم بما افتروا به على الاحبار العظام وبثوه من سمهم الناقع ضد تعاليم بيعة الله المقدسة واشاعوه

من الاكاذيب المسودة وجه مخترعيها بقصد ان يسودوا محياها الوضاح فاعلان فساد مقاصدهم كما قد اتضح تلفيقهم وتلاعبهم

لعمري انما يخجل ملفق تاريخ الفودوا وقد اشاع اموراً يخجل من نشرها بين الامم الهملة افلا يغطي وجهه العار اذا نشرها بين شعوب سورية انما يحترم ابناء الوطن من سوريين وعرب وكانه لا يحسب طوائفها الكاثوليكية بشيء وقد افترى على بيعة مقدسة تمسكوا بعرى تعاليمها الوثيقة وتعلقوا بسدة رسولية جلس فوقها من نشر راية المدافعة عن حقوق الضمير وحرية الاديان فقابلة ابناؤها بمزيد الامتنان واحتفوه بجيوش الاحترام واتحدوا بالسدة الرسولية وبالجالس عليها كل الاتحاد حتى عاد ابناء الكثلكة كلهم واحد . ومع هذا قد كشف ملفق تاريخ الفودوا عن جبين الوقاحة واخذ يطعن ويقدح ويفتري ويشتم ولضعف مخيلته قد زعم ان ليس من يردعهُ ويكبح مطية وقاحته

فلاجل ان لا يخال لانسان باننا قد تغالينا باظهار افترائهِ واعلان فساد ايراداتهِ ادرجنا اقواله بحروفها زيادة لخزيهِ وايضاحاً لمكره

قال وهو اكذب القائلين : وبقي الفودوا في راحة وامنية من القرن الثالث حتى الحادي عشر اي من ايام قسطنطين الى ايام هيلدبراند . اه (نشرة عدد ١٥ سنة ١٨٧٢) مريداً بذلك بيان عظم ما قاساه القوم الفودوا من ظلم بيعة الله المقدسة لكن فليقل لنا هذا الملفق كيف تظلم بيعة الله اناساً لم يكونوا بالوجود وكيف تسيء معاملة من كان في حيز العدم فاين كان الفودوا في الجيل الثالث حتى الحادي عشر حتى تحاربهم بيعة الله المقدسة هل وجد رجل فودوي قبل الجيل الثاني عشر فانما قد ظهر الفودوا في ايام حبرية البابا

لوسيوس الثالث في اوايل الجيل المذكور فمن ذا الذي يقع على نشر هذه الاكاذيب ويتسلح بها طعنًا على بيعة الله الحق سوى ملفق تاريخ الهودوا

قال وقد تركتهم في راحتهم حتى عهد ميلدبراند حتى اخذت رومية تجارتهم وغيرهم كثيرين من المؤمنين اعداء الوثنية الرومانية (عدد ٥٠ و٥١ سنة ١٨٧٣)

واسفاه على سخافة عقلك ايها الشهير بين الملفقين افلا تعلم بانهُ ما من ابروتستاني اتصف ولو بما اقل من المعرفة والدراية توهم شبه صحة ما افتريت بهِ على بيعة الله المقدسة حتى ان اشهر ابناء الابروتستانية قد نهضوا ضده ودافعوا عن تعاليم كنيسة رومية الصحيحة وبينوا افتراء جماعتهم على هذه الكنيسة الوطيدة الاركان ونادوا علنًا بان ما تفتري عليها الابروتستانية من امر الوثنية ان هو الاَّ محض الاكاذيب وحجة اوهن من بيت العنكبوت وها قد نهضت ايها الملفق تكرر مثل هذه الاقاويل الفارغة وتفتري حتى على كنيسة المشرق في ارض الشرق وقد ثبتت قدمية تعاليمها الروحية قل لنا علام تستند في قولك ان الكنيسة الكاثوليكية وثنية فاننا ندع اصغر ابناء الكنيسة الشرقية في هذه الاراضي الشرقية ان يعالجك بما يخجل وقاحة علت جبينك فجعلتك على الطعن ولم تدرِ ما تقول

فما يزيدك خزيًا على خزي وعارًا على عارٍ افتراؤك لا على اطراف الناس او على ذوات مجهولي الذكر بل على حبرَيْن جليلين نخبة الاعصار وزينة الاقران وان هما الاَّ كوكبان قد سطعا في افاق الاجيال الماضية بنيرتها الوقادة وقريحتها الجوادة وحكمتها الضاربة

بها الامثال وفضيلتها الساطعة الانوار حتى نهض علماء الابروتستانة انفسهم ودافعوا عن هذين الجليلين ردعًا لوقاحة سفهاء الابروتستانية وايضاحًا للحق فقد اولئك المشاهير افتراء المفترين ودحضوا اقاويل اهل الاقاويل وبرروا ذينك الحبرين الجليلين وبددوا هباء القول الوهم عن محيا ذكرهما السعيد وفضلهما الذي ما عليه من مزيد

افما عثرت ايها الملتفق على ما اذاعه علماء ابروتستانيتك انفسهم مدافعةً عن ذكر هولاء الاحبار الكرام افما ذكر لك انسان من ملتك ابولوجية غريغوريوس السابع للعلاَّمة غاب البروتستاني اما اطلعت على مدافعة العلاَّمة ليو معلم مدرسة هال الكلية افما سمعت بما اذاعه الدوكتور بوردين في لوندرة في سنة ١٨٤٩ مدافعةً عن ذكر البابا غريغوريوس السابع الذي التحمت عليه بالافتراء

فاينك عن تصنيف العلاَّمة فويت المدارسي معلم كونيسبرج وقد طبع طبعة ثانية في بحر سنة ١٨٤٩ فان هولاء وغيرهم من علماء الابروتستانية المشاهير قد اجمعوا مع العلاَّمة جان دي موليرالمورخ السفيسري الابروتستاني معترفين للبابا غريغوريوس السابع ببسالة الابطال وشجاعة الجبار وفطنة المشترعين وغيرة الانبياء

فلا بد لك من امرين اما انك قد عرفت تآليف هولاء العلماء فمع ذلك افتريت على ذلك الحبر الجليل الذي اثبتوا فضايله الشريفة فكنت اكذب الكاذبين واما انك قد جهلت امرها فكنت اجهل الجهلاء واحمق الحمقا فنزلت ميادين العلوم التاريخية متسلحًا بجبهة نحاسية ولم تعلم الكوع من البوع

فقد افتريت ايضًا على البابا اينوشنسيوس الثالث فقلت : ولما

اخضعت البابارية الملوك والسلاطين اخذتهم وسيلة لقهر الشعب فهيج البابا اينوشنسيوس الثالث فيلبوس ملك فرنسا ان يقيم حربًا على الالبجيين في الجنوب فحمل عليهم وبذل فيهم الصوارم رجالاً ونساء واطفالاً ودرس رسوم اطلالهم حتى افناهم عن وجه الغبراء. اه (عدد ١٥)

هل ادركت ما قلت وفهمت بما به قد تكلمت عن هذا الحبر المفضال زينة الاجيال الذي اجمع على مدحه علماء مذهبك الابروتستاني فدعوه رب الافضال اي نعم عن اينوشنسيوس الثالث قال علماء الابروتستانية انهُ قد ساد عصره بجود قريحتهِ وذكاء نيرته فاولى التمدن نعمة احسان الحرية اذ قد انقذه من ظلم العظماء ونجّاه من تعديات الكبراء

اعلم يا ايها الملفق ان فريديريكوس هورتير رئيس ديوان شافهوز الابروتستاني قد سهر الليالي في تصنيف ما به قد بين فضل البابا اينوشنسيوس الثالث مدافعًا عن هذا الحبر الجليل من افتراء تلاعب بعض الابروتستانت الذين اراك قد اخترت لنفسك المقام بينهم وقد بنى العلاَّمة المذكور تصنيفهُ ذلك الشهير على مراسلات البابا المشار اليهِ فلا غرو ان من اطلع عليهِ لا يجترء ان يفوه بما عثرنا عليهِ في النشرة الاسبوعية

فقد وجد العلاَّمة هورتير كتابات اينوشنسيوس الثالث في غوتينغ فاطلع عليها وتامل سامي معانيها وبحث في ظاهرها وخافيها فكانت سبب ارتداده عن الابروتستانية فجحد تعاليمها وكشف البرقع عن فساد مساعيها

فانه كلما تعمق العلاَّمة المذكور بتلك السطور الكريمة

استشاطا غيظًا على ابناء ملته الذين تلاعبوا بالتاريخ بقصد الافتراء القبيح على ذلك الحبر الجليل صاحب اليد البيضاء على الجنس البشري على ما وصفه العلّامة المذكور فسبحان روحه اكاذيبهم وكيف قد شنعوا بحق هام بيعة الله المقدسة التي احسن ادارتها العلية سنين عديدة حتى قال عن نفسه ان مطالعات طالعتها ودروسًا درستها لكي اتمكن من تصنيف تاريخي عن البابا اينوشنسيوس الثالث حملتني على ان امعن النظر بحسن بناء الكنيسة الكاثوليكية العجيب فاندهلت لعزم احبار ادارتها مدة اجيال عديدة واعجبت من تيقظ سهروا به على اتحاد التعليم ونقاوته معًا فعندها تمثلت في اذهاني تقلبات البدع الابروتستانية ومذلتها بخضوعها للسلطة البشرية وانقسامها على ذاتها واستبداد كل من ابنائها بتفسير الكتاب المقدس حسب اوهامه فاحرب انقدت نيرانها على البيعة الكاثوليكية في كل عصر وزمان وما جهاد جاهدته هذه الكنيسة بازاء الاخصام الاّ قد اثر بروحي تاثيرًا خلاصيًا . اه

اي نعم قد طالع العلّامة المذكور التعاليم الصحيحة وتبصر بالاقوال الصادقة وميز بين الحق والباطل فسعى مع النعمة فجد الاضاليل وارتد الى حضن بيعة الله الحق وافاد اهل العلم فوائد سامية يرضخ لها العقل الثاقب والراي الصائب فليت ابناء ملته يحذون حذوه وقد سطعت انوار تعليم بيعة الله الحق فابهرت ابصارهم فتعاموا بدلاً عن ان يهتدوا : سألنا اله الانوار ان ينير عقولهم فيرجعون عن ضلالهم ويدخلون حضن كنيسة الحق فيحيون النفس بتعاليم الحق راذلين التلفيق وكافرين بالتدليس والتلبيق

الفصل الرابع

في حال الفودوا في عهد ابروتستانية الاصلاح

فلاجل ان تكون الفوائد تامة والمنافع للعالم المتدين كاملة من تاريخ الاصلاح وجب على من يعثر به ان يتبع خطوات ملفقه جميعها فيهتدي كل الاهتداء لتلك المقاصد السنية والمارب السامية ولما كنا قد انشغلنا حتى الآن في تفنيد تلفيق الملفق في ما اورده عن الفودوا قبل ظهورهم في الكون وفي الاجيال المتوسطة بقي علينا الآن ان نبحث في ما زعمهُ عن هولاء الاقوام بعد ظهور الابروتستانية وقد انقسم هذا البحث الى قسمين اولها قول الملفق ان تعاليم الفودوا والابروتستانت واحدة وان ما علمهُ اهل الاصلاح هو طبق تعليم الفودوا والعكس بالعكس حتى ان الابروتستانية لم تزد او تنقص شيئًا على تعاليم وجدت الفودوا متمسكين بها منذ انشائهم . والثاني هو مجد عظيم وفخر جسيم حازه الفودوا من الاستشهاد بسبب اضطهاد الكاثوليكيين حتى نظمهم الابروتستانت في سلك شهداء الايمان اذ انهم قد احتملوا لاجل الدين وكابدوا مر العذاب حبًّا باليقين

اما الطرق التي سلكها ذلك الملفق بيانًا لمدعاه وتابيدًا لفساد دعواه فهي من جملة غرابائه وفرائد درر خزعبلاته

ففي الاول قال الملفق (نشرة عدد ١ سنة ١٨٧٣) واضعًا لمطالعي اساطيره قوم الفودوا مثالاً للفضل والفضيلة وان تعاليمهم هي نفس تعاليم الابروتستانت الحديثة وفي عدد ١ سنة ١٨٧٣ قال ان الفودوا

انكروا حضور بطرس الرسول الى رومية ولبثوا اجيالاً عديدة يتكلمون جهاراً بكون البابا مسيحاً كاذباً والقربان الاقدس المسجود له صنماً والمطهر بدعة لا اصل لها وكانوا من المقاومين الابتداعات البابوية ويضحكون على عبادة القديسين وذخائرهم ويهزاون بالرهبان والكهنة وهلمَّ جرًّا

فنقول ان حال الفودوا لدى ظهور الابروتستانية من امر التعليم هي حال بعض ابناء الاقطار الشرقية الذين غلب ان كانوا قد اقتنصوا باحبولة الضلال كفروا بعقائدهم القديمة فاصبحوا ابروتستانت فعندها اذا ما ادّعى ابروتستاني ان تعليم ذلك الرجل الشرقي المرتد عن دين ابائهِ وتعليم الابروتستانت واحد صح مدعاه لكن لا لان ذلك الشرقي كان على ذلك التعليم سابقاً بل غلب ان صبغة الابروتستانت صبغتهم صح بهِ مقالهم فهكذا قل عن القوم الفودوا فانهم قبل ظهور الابروتستانت كانوا يعلمون تعاليم ذكرناها سابقاً وهي خلاف تعليم الابروتستانية لكنهم لما اصطيدوا بشباك الابروتستانية وتشربوا تعاليمها اصبحوا والابروتستانت على تعاليم واحدة ولذا صح قول الملفق فيهم من هذا القبيل لا من قبيل مدعاه بان الابروتستانت وجدوهم على تعاليم الابروتستانية

وعن زعمهِ الثاني قال في عدد ١٥ من نشرتهِ سنة ١٨٧٣ : ان الفودوا لبثوا مدة اربعة اجيال موضوع اضطهاد رومية فدافعوا عن انفسهم بالاسلحة وانك كنت تراهم حينئذٍ اناساً قليلي العدد فقراء متواضعين قد نهضوا رغماً عنهم للدفاع عن انفسهم من اعدائهم الالداء فكانوا يذرفون العبرات على من سقط من خصمهم رحمةً وشفقةً .....

رحم الله دموع الملفق فلا غرو ان الاحشاء تذوب حزنًا على حال هولاء المصابين لمجرد وصفهِ حالهم حتى ان قال : كثيرًا ما كانت جيوش البابا تزحف على اراضي اولئك الودعاء ويفتكون بهم فتلك الذئب بالحمل ويجبروهم على هجر بلادهم

فاعجب من ملفق أفما خال لاذهانهِ ان التاريخ يكذبهُ وتبدد انوارهُ ظلام اوهامهِ فقال : قد اضطروا ان ياووا كهوف الجبال هربًا من جيوش مازارين ولويس الرابع عشر التي كانت تطاردهم ولا تمكن منهم. كيف لاتذوبين ايتها النفس حنقًا عليهم وهم قد انشغلوا في خلوتهم بقيام الصلوة ويتعلمون التعاليم الرسولية ويترنمون بزبور داود النبي حتى يخال ان صخور تلك الشعاب تترنم معهم ... (عدد ١٥ سنة ١٨٧٣)

لعمري قد تقطعت احشائي اسفًا على حالة هولاء المترنمين بالزبور الالهي والمتواجدين في تلاوة كتاب الله اعني بهِ كتابًا عرفهُ الابروتستانت والقوه بين ايديهم

غير ان الملفق لاجل ان يبدع في وصفهِ تلك الحوادث ولا يدع ظرفًا من التلفيق يفوته كان لا بد لهُ من ادخال اليسوعيين في تلك الاضطهادات فقال نشرة عدد ٥٣ سنة ١٨٧٣ وفي سنة ١٥٤٠ اثارت جمعية ليولاى اليسوعية حروبها العامة على الدين (يعني الاصلاح الابروتستاني) القادم في اوربا وكانت دسائس اليسوعيين وصرامة عقاباتهم قد اجبرت الامم على الخضوع للبابا فهدوا سبيلاً لاذاعة تعاليم كنيسة رومية المخلسة

فيا للعجب كل العجب كيف قد اغرى اليسوعيون الناس على

طاعة البابا انما كان يجب عليهم ان يغروهم على عصيانه حتى ان البابا واليسوعيين قد اغروا كارلوس الخامس فاوقد نيران الحرب على الابروتستانت . هذه تلفيقات الملفق

فاشرقي الآن يا انوار التاريخ الصحيح وانيرينا في دجور ظلام الملفقين نشدتك باسم الحق ان تسفري عن محيا الحق فاين نحن وفي اي الثيه قد ضللنا ومن الذي الى هذه الوهاد قد استاقنا ومن ذا الطاغي القائد العميان فيسقط واياهم في حفرة الهلاك فليذهب المحال الى الوراء وانت ايها الحق السائد على عقول الانام انطق فحيا بكلمتك

قال التاريخ : لما كانت تعاليم الاصلاح الحديثة قد نجمت في عقول القوم الفودوا وحيوا بروح خداع الكلفينيين المتمرد فتفاوضوا مع الابروتستانت في سنة ١٥٣٠ فقلبوا المجن وحملوا الاسلحة واملوا نجدة من لدن الذين حركوهم الى الشر . ففي سنة ١٥٣٥ اولاهم فرنسيس الاول هدنة لكنهم في سنة ١٥٤٢ او ١٥٤٣ اجتمعوا للقتال وحملوا السلاح وهدموا الهياكل ونهبوا الكنائس وارتكبوا الفواحش (راجع تاريخ الاكادي المسماة دي اينسكريبسيون مجلد ٩ وجه ٦٤٥ و٦٥٢)

فبناء على عصيانهم وقبيح اعمالهم اصدر ديوان ايكس مضبطة عليهم فنهض الكاردينال صادوليت اسقف كاربينترا وتشفع بهم لدى فرنسيس الاول فاوقف اجراء المضبطة غير انهم لما كانوا لا ينثنون عن عدوانهم وقد حملهم روح الخداع على دوام العصيان عزم اميداوس دوكا صفوا على طردهم من ولاياته فعاضده لويس الرابع عشر وارسل

جيوشهُ الى بيمونتي على الفودوا . فهذه حقيقة الاحوال على ما انبأنا بها التاريخ الصادق

فعلى العاقل الآن ان يقابل صدق التاريخ مع تلفيق الملفق المحاول جذب القلوب لحالة الفودوا خلافهِ اولئك الشهداء الافضال

انبأنا تاريخ السنين المتاخرة ان قد ثارت في باريز ثورة الكومون فابدعت بارتكاب قبائح لايتوصل اليها غيرها فعندها نهضت الحكومة فحاربتها فجرد المارشال ماكماهون القابض حاليًا على ذمام حكومة الفرنسيس سيفهُ البتار وردع اهل العدوان واخمد نيران العصيان فلا غرو ان الرجل الكوموني بعد قتل شركائهِ استشهادًا لكونهِ بعد تاديب الحكومة الشرعية اضطهادًا فهكذا قل عن الفودوا الشهداء فانزلهم يا ايها الملفق الابروتستاني منزلة الشهداء وصنف لشانهم التصانيف وانشر قصصهم وصف سيرهم فانك رب اعمالك وسيد ارائك اما نحن فانما نقول لك ان رجالك اهل العصيان وسفاكي الدماء الذين اقتصت منهم الحكومة الشرعية عن فواحشهم وبينهم وبين شهداء بيعة الله المقدسة الذين قدموا حياتهم لاجل الدين بون عظيم كبعد الارض عن السماوات وفرق جسيم كفرق ملائكة السماء عن ملائكة الظلام

قد ذكر الملفق (عدد ٤ سنة ١٨٧٣) اسم كرومويل القابض وقتئذٍ على احكام انكلترا فمن جملة تلاعب الملفق اخفاءهُ دسائس كرومويل المذكور الذي كان يبعث بالدراهم الى الفودوا ويحرضهم على العصيان على ساداتهم فقال عنهُ الملفق انهُ امر الشعب بالصوم والصلوة اي نعم قد امرهم بذلك لكن غب ان كان قد اغرى الفودوا

على ايقاد نيران الفتن فما قومك هولاء يا ايها الملفق الا عين اقوامك الذين اثاروا حرب القرون في اقطار بروسيا والمانيا وقد تكلمنا عنهم في الجزء الاول فصل ٤. فها قد سئمت انفسنا تلفيقاتك ومقتنا خزعبلاتك فلفق ما شئت واكذب ما استطعت فاننا لن يوقفك عند الانتقاد ولم نألُ جهدًا بمحاربتنا اهل العناد

الفصل الخامس

في الطريقة التي اعتمدوها اهل الاصلاح ليجعلوا تعاليم الفودوا حسب اضاليلهم

فبقي علينا الآن ان نذكر طريقة اعتمدها اهل الاصلاح ليجعلوا تعاليم اقوام وقعوا بمخالبهم واحدة مع اضاليلهم فغب ذلك تراهم ينادون قائلين: ان تعاليم هولاء الاقوام هي عين تعاليم الابروتستانية

قال العلامة هيرزوغ الابروتستاني في تاليفه عن فودوا جرمانيا: ان اهل الاصلاح لاجل ان يجتذبوا الفودوا الى بدعتهم قد استعملوا صناعة التحريف والتلاعب ولم نرَ غيرهم قد وصل الى اقصى درجة في ذلك فما توصلوا اليه من التغيير والتبديل قد نشاء عن السعي بحذف كل عقيدة كاثوليكية من تعاليمهم

هذا وقد انبانا العلامة بطرس جيليس الابروتستاني في تاريخ الكنائس الابروتستانية فصل ٥ عما اقتضى تغييره وتبديله في تعاليم الفودوا لتطبق مع التعليم الابروتستاني. قال ان المرسلين اليهم من

قبل اهل الاصلاح نادوا انه محرم عليهم من الآن فصاعدًا خضوع القداس والتسليم بخرافات البابوية والاقرار بكهنة الكنيسة الرومانية وان الاعتراف السري غير مامور به من الله تعالى وان السيد المسيح لم يرسم الا سرين لا غير وهما سر المعمودية والافخارستيا وهلمّ جرًّا . قال العلامة المذكور وهلمّ جرًّا لكي يبين لنا انه لم يعدد جميع المسائل التي يسمي الابروتستانت بعضها من عقول المؤمنين

فاذا كان ذلك أفما يخجل ملفق تاريخ الاصلاح من ان ينادي قائلاً : ان عين تعاليم القوم النودوا هي عين تعاليم الابروتستانت

هل تزعم يا ايها الملفق خداعًا ونحن واهل هذه الاقطار شهود عيان لتلاعبكم بضمائر الناس حتى اذا ما جعلتم نفسًا فريسة اضاليلكم قلتم انها تعتقد عين اعتقادكم اي نعم ان شبانًا وشابات جذبتموهم الى مدارسكم بحيلة التعاليم وبظاهر الارباح بل وببذل المال اصبحت عقائدهم عين عقائدكم لكن قل لنا يا من تدعي هذه الدعوى الفاسدة هل ذلك الماروني او الملكي او غيرهما من ابناء الكنيسة الشرقية الذي انحاز اليكم ويعتقد الآن عين اعتقادكم فينكر الاسرار الالهية ويكفر بعبادة البتول الطاهرة ويزدري بتكريم القديسين وهلمّ جرًّا أفما انكم انتم الذين قد سعيتم وسلبتم من فؤاده هذه الكنوز الثمينة والنعم الكريمة التي تمكنه من الخلاص واقتنصتموه بحبائلكم فاصبح فريسة الهلاك فتعطون عن هلاكه جوابًا لدى الديان العادل الذي سفك دمه الكريم خلاصًا للبشر . هل كان ذلك المرتد عن حضن الكنيسة الكاثوليكية لا يعتقد بتكريم عذراء العذارى وقد رضع هذا التعليم المقدس مع لبان امه . أفما كانت امه تعلمه هذه العبادة وتلقنه الادعية وهو في حضنها . أفما انه لما كان

يدخل كنيسة ملتو القديمة كان يرى ايقونة اولياء الله وقد حثهُ رعاتها على الاستشفاع بهم وارشدوه على التمسك بعبادة الشفيعة المتشفعة لدى مخلص نفوسنا . فمع ذلك تزعمون ان ذلك الشاب وتلك الشابة يعتقدان معتقدكم . اي نعم انهم كذلك اي لا يعتقدون بعقيدة بل قد كفروا بحقائق الدين لكن بعد ان رضعوا حليب مدارسكم احبولة الضلال وسقطوا في وهدة ضلالكم عربون الملاك وعن ذلك كثرت الشواهد منها حادثة نحن شهودها حتى انهُ لما بدت لدينا اعجبتنا كل العجب وتاثرنا من جرائها لا بعض التاثير

لما كنت وكاهنًا اخر نستنشق الهواء يومًا في ضواحي بيروت وقد ظللنا ظل شجرة من حرارة الشمس واذا باحداث يصرفون اوقاتهم بالقرب من هنالك فحضروا الينا والقوا ما من عادتهم تقبيلهُ نحو الكهنة فسالناهم في التعليم المسيحي وفي الصلوة والوصايا وهلمَّ جرًّا وفي اثنا ذلك راينا احدى الشابات تحاول الابتعاد عنا فاستغربنا امرها ورمنا مخاطبتها فحضرت غير انها في قلق عظيم ولاتشا الدنو منا لاننا كهنة الامر الذي لا نعهدهُ في مسيحي سورية فازادنا قلقها رغبةً في البحث في حالها فدنت منا فسالناها في التعليم لكن كلما ذكرنا شيئًا عن تكريم القديسين قلقت فسالناها عن عبادة البتول الطاهرة وكيف نستغيث بتلك الشفيعة القديرة فعلا جبينها الخجل وولت حالاً الهرب فكررنا عليها السوال فقالت وهي تفرهربًا (مريم العذراء ما في) اي لا التفات الى مريم العذراء ولا الى تكريمها

فليقل اهل هذه الاقطار ومن يعهدون تكريمهم لاولياء الله تعالى هل تعلمت تلك الشابة ذلك الجواب من اهلها ام من جيرانها ام من

كهنة ملتها لا لعمري ما ذلك الا عن روح الابروتستانية وقد تاكدنا بانهم انشأوا مدرسة في ذلك المكان واغروا الاهلين على ارسال اولادهم اليها فكانت تلك الشابة من جملة تلامذتهم فتعلمت تعاليم منها تكران اولياء الله المشفعين بنا لدى الله

فتعلم الابروتستانية التعاليم السالبة انفس المسيحية النعم السماوية واخصها نعمة الايمان فما الذي تنالهُ هذه الشابة من الفوائد عسى ان سلبت منها نعمة الايمان واحسن وسيلةٌ للخلاص وهي التماس شفاعة ام الخلاص هل يجديها واهلها نفعًا لدى الله ما اتحفهم به ارباب تلك المدارس من بعض الدراهم والملبوس وامور اخرى دنوية يصطادون بها الانفس لعمري كيف تستطيع تلك الشابة اذا ما دهمتها جيوش المحن ان تتخلص من ايدي المجرب وقد عرت عن الاسلحة الدينية الجزيلة الفاعلية

فانها قد فقدت الايمان وخسرت وسائل الخلاص فما الذي يفيدها ثوب بال وخسيس المال : ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه وما الذي يعطيه فداء عن نفسهِ

فمن المطالب بهذه النفس لاشك انها هي المطالبة اولًا غير ان الحديثة السن لا تدرك عواقب الامور فعلى اهلها التبصر بخيرها الروحي كتبصرهم بحال دنياها فانهم هم المطالبون ولقائل ان يقول افما ان معلميها المطالبون قلت ان هولاء الانجيليين الجديدين يباشرون مهنتهم ويلقون شباك دسائسهم وهذا دأبهم فلماذا ترسلون اولادكم الى مدارسهم هل جهلتم اخطار ضلالهم وقد نادى اساقفتكم واكليروسكم حتى والصحف عينها ضد اضاليلهم وابانوا لكم سوء مقاصدهم بل انهم هم انفسهم لم يخفوا

سوء نواياهم فنادوا في كتابات كتبوها لارباب امرهم انهم قد اعتمدوا على العلوم العالمية ليجذبوا الانفس الى تعاليمهم الابروتستانية

افلا يتعقل الاهلون ويحافظون على ايمان اولادهم نعم تهاونهم يسالهم الديان العادل ومنهم يطالب خلاص اولادهم فما الذي يجلفونه ثمرة احشائهم ان كانوا قد سلبوا منهم نعمة الايمان التي لاخلاص بدونها هل يجيبون فادي البشر الذي سفك دمه الكريم عن تلك النفس المخلوقة على صورة الله ومثاله قائلين : ربنا قد اخذنا دراهم وملابس ووعدنا الابروتستانت مواعيد فطرحنا اولادنا بين ايديهم

لعمري ان هذا التهاون الا وبال عظيم على الاولاد ووالديهم وعلة هلاك الفريقين معاً ومع ذلك قد تعامى الاهلون ولم يستفيقوا من غفلتهم فيتداركون امر خلاص ثمرة احشائهم متذكرين قول مخلص العالم : ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم وخسر نفسه وما الذي يعطيه الانسان فداء عن نفسه فليفتكر بذلك المسيحيون وينقذوا انفسهم واولادهم من حبائل المحال فليتامل المتاملون ولا يتغافل عنه المسيحيون الصادقون قال الكتاب : حد عن الشر

الفصل السادس

في ما كان من الفودوا في الازمنة المتاخرة
على ما نشرتهُ نشرة الجبلي بيروت الاسبوعية

ان كان ملفق تاريخ الفودوا قد ارانا حتى الآن فخر الفودوا وغبطتهم لانضمامهم في سلك اهل الاصلاح حتى غدوا واياهم واحدًا فقد قدم لنا الآن تتمة هذه الغبطة وتاج هذا السعد واكليل ذلك الحظ في عصر جديد انفتح لهم وايام اقبال اقبلت عليهم فاصبحوا في جنة النعيم راتعين وبظل الراحة مستظلين فكانت اوطانهم جنة الفردوس في ارض الاموات وقد نالوا الغبطة الدائمة وهم بالاجساد

ولسائلٍ ان يسال: كيف كان ذلك وانّى لهولاء الاقوام مثل هذه النعم بمعزلٍ عن جميع البشر قلنا لهُ اصغ يا صاح سمعًا لملفق تاريخهم وناشر في اقطار المشرق فانهُ قد بين لك الاسباب واعرب عن علة تلك الغبطة اذ ان الفودوا ما برحوا ينتقلون من راحة الى راحة بانضمامهم الى الابروتستانية وان كانوا فريسة اضطهاد الكثلكة الى ان ارتفعت راية منقذ الامم من العبودية وعلت اوطانهم فانطووا تحت لواء ملاك الخلاص فكسروا نير العبودية

اما منقذ الامم وملاك الخلاص ان هو الاّ غاريبالدي ورجاله البغاة هل تعجب من هذا يا صاح أفلا تعلم ان غاريبالدي هو منقذ الامم من العبودية اي نعم ان عصيانه على السلطان الديني والمدني وبغيهُ على حقوق الناس ومساعيهُ المزعزعة اركان العرش والمذبح هي من الجرائر

الجسيمة والقبائح الفظيعة لدى اهل العدل والانصاف وبازاء الشرائع والحقوق ولكن لدى ملفق تاريخ الفودوا فهي انقاذ وخلاص وانها سبيل للسعادة بل وملكة الغبطة وهل ريب في ذلك وقد قال: ان الفودوا قد اصبحوا في جنة النعيم تحت لواء هذا المنقذ العجيب

فلقد يخامرك الاندهال من هذا الايراد بل قد تحسبه ضربًا من الافتراء على الملفق المذكور او قد جئنا به على سبيل التهكم لا لعمري ليس شيء من ذلك في ذلك فما خامر فكرك من الاندهال قد سبق فاستولى على افكارنا واخذنا نكرر تلاوة تلك الاساطير فكلما امعنّا النظر بها قلنا قد نكون اخطانا ادراكًا لكن راجعنّ تلك الالفاظ ووردنّ تلك المعاني كيفما شئت وعلى قدر ما شئت فانك لا ترى لها معنى سوى ما تقدم وهاك بها برمتها

قال في عدد ١٥ سنة ١٨٧٣ ونال الفودوا وطرهم تحت راية كاريبالدي الذي نادى بتحرير ايطاليا ونجح في انقاذها من ايادي هولاء المترفضين

وقال في عدد ١٠ سنة ١٨٧٣ : ان انتصارات نابليون (الثالث) وغاريبالدي اراحت ايطاليا من كل القلاقل وعطت الامن والسلام في كل الاماكن ومحت كنيسة الاب اتم الراحة ونبذت جميع المخاوف والآن ترى تلك الاماكن جنة لا يدخلها فساد . اه

هذه اساطير قد نشرها ملفق تاريخهم في اقطار المشرق واطلع عليها ابناء المشرق هل راق لسكان هذه الاقطار مثل هذه الايرادات الغريبة والاقوال العجيبة فلا غرو فان عقلاء هذه البلدان قد حارت منهم الافكار وقالوا : كيف يكون الليل نهارًا والاسود ابيض والشر خيرًا

والخراب عمارًا والهدم بناء والحرب سلامًا والنهب حلالاً والفتك نعمًا وجهنم نعيمًا فلقد طالما ارتعدت منا الفرائص واقشعرت الابدان كل مرة جاءت باخرة اوربادية وانباتنا بفظائع اهل الكومون في باريز وفضائح الانتيرناسيونال وجرائر الرعاعية في اسبانيا انما قد نفرت منا القلوب لدى سماعنا ما ابدته هذه الذئبة من الفواحش فكل ارض داسها البغاة فحشوا بها فخلفهم جرادًا يزحف او ملاك موت يفتك او منجل حصاد تحصد فانهم افة لا تدع ولا تذر وهم ينادون باسم غاريبالدي امامهم ويزدهون بمبادیه تلك المفسودة فمع هذا قد دعى ملفق تاريخ الفودوا راية هولاء المردة راية الانقاذ واقواما انطووا تحتها قد رتعوا في جنات النعيم

فقال ابناء الشرق : يا ويلنا اذا كانت هذه اثمار انجيل جديد بشرنا به ارباب تلك النشرة أهذه التعاليم يعلمونها لشبان جذبوهم الى مدارسهم قلت ها انكم يا سكان سورية قد وقفتم على اساطير الملفق فنجوا منها ما شئتم فانكم تخافون على شبانكم وتخشون غوائل مثل هذه التعاليم فما لي ولكم ايها الخلان وقد اتضح الامر كالشمس في رابعة النهار افما ان من رام السبب رام المسبب افما قد قال الكتاب من لمس القير لصق به

فهذه فوائد اشار عنها ملفق ذلك التاريخ للعالم المتمدن وقد بينها في سياق اساطيره غير انه لدى النهاية قد تناهى بها فافصح عنها كل الافصاح وبالغ بالايضاح فلم تخفَ مقاصده ولم تستر نواياه والابلغ من كل ذلك هو ان الفودوا قد نالوا تلك الغبطة باستمالة بعض الدول وبانظار بعض ارباب الاحكام وهاك ما قاله الملفق

بهذا الشان

قد نهضت كنيسة الالب من ردمها حتى ابهر لمعانها الساطع اعين كل اوربا وطلب كل من كان قد عرف التمدن (اي التمرد والعصيان على السلطة الكنائسية) واهله من اهالي ايطاليا مباديها الصحيحة التي جعلتها لها دستورًا وحرية الافكار علة الحروب التي كابدت احتمالها وارتد اهالي طورين وسردينيا عن ضلالهم واهتدوا الى معرفة الصواب وندموا على ما فات من سوء اعمالهم نحوهم وكان ملك سردينيا شارل البرت من اول القوم الذين استحسنوا مبادي الفودوا وازمع ان يهجم الحرية التامة ويكفر عما سلف من وزر سلفائه ..... وفي اليوم السابع عشر من شباط سنة ١٨٤٨ صدر الامر الملوكي باعطاء الحرية الى اهالي الوديان (عدد ١٠ سنة ١٨٧٣)

اي نعم في سنة ١٨٤٨ وهي فرصة تزعزعت فيها اركان العرش في اوروبا ودهت فيها الدواهي فاحطت الرفيع ورفعت الوضيع وخربت النظام ظهر فيها الفودوا وبانت حالتهم على انه للابروتستانية المائلة الى الاضمحلال ان توليهم الانعام املاً بتوقيف اضمحلالها فبنت لهم الكنائس وشيدت الهياكل وقد كانوا سابقًا يقيمون الصلوة في كابلات سفارة دول انكلترة وبروسيا وهولاندة فقط

فبنى الانكليز للفودوا كنيسة انفق على بنائها ثلثماية الف فرنق. واخذ لهم الابروتستانت في جينيفا كنيسة العذراء عليها اشرف السلام واذاعوا صحيفة سموها البشرى العظيمة بيد ان الفودوا لا يبلغون في طورين اكثر من ٢٨٦ نسمة ومجموعهم في الجبال ان هو الاَّ دون ٣٠ الف نسمة

ولسائل ان يسال : لِمَ هذا الاهتمام ولِمَ ذا الاحتفال . قلت ان الابروتستانية سخية العطاء لمقاصد نقصدها اي لاجراء احلام تحلم بها .

فمن احلام اعداء الكثلكة زعزعة اركان السدة الرسولية في رومية والغاء الكثلكة في ايطاليا فكيف يتوصلون لذلك وما الايطاليان الاَّ شديدوا التعلق بكثلكة فلقد يستطيع العدو ان يميل اليهِ بعض الاهلين اما كفرًا واما عصيانًا واما تطويحًا في ميادين الخلاعة لكن جذب الايطاليانيين الى الارثقة فهو ضرب من المحال ودونهُ شوك القتاد وهل يسمح العلي الذي قد بنى كنيسته على الصخرة واقام كرسي هذه الصخرة في وسط ايطاليا ان تصبح اراضيها فريسة الارثقة بفتوحات اهل الاصلاح الموهوم

هل يدرك ذلك اعداء الكثلكة فما هولاء الاَّ قد عللوا انفسهم بالمحال وساروا في ديجور الظلام وبنوا اعمالهم على الاوهام فقالوا قد عضدنا الفودوا وهم مفتاح ايطاليا لجهة الالب وقلنا ان دين هولاء القوم هو الدين الصحيح لانهُ عن الرسل بل عن المسيح نفسهِ فتقتنع ايطاليا بذلك فنفتحها وهذه وسيلة تضحل بها الكثلكة دين البابا وية

قال العلاَّمة هيرزوغ الابروتستاني عن ازعام زعمت قدمية الفودوا وعن مقاصد بنيت على هذه الازعام : بذا قد اقترنت المضحكات بسوء النوايا وفساد المقاصد

اما عن سوء المقاصد فقد تقدم المقال واما عن المضحكات فدونك والشواهد فاننا نختم المقال بتفنيد تلفيق ملفق تاريخ الفودوا باضحوكة بل باضاحيك تعلقت بقدمية مذهب الفودوا الرسولي

فمن جملة الذين تجندوا لهذا الزعم الملفق المذكور لكنهُ لما كان

الاخير عهدًا اخترناه ذكرًا ولا حرج علينا وان تفاضل عن اقرانهِ سخافةً

فذكرنا اولاً مسيو بريز المؤرخ الفوداوي وهاك كلامهُ الهذر وقد جاءهِ على سبيل الجد فقال : ان كنيستنا هي ام جميع الكنائس الابروتستانية وهاك البيان ان القديس بولس بذهابهِ الى اسبانيا مر باودية البيمونتي فرد الفودوا الى الايمان ببشارتهِ (تاريخ الفودوا مجلد ٤ صحيفة ٤٢) . فلا تسالهُ عن البرهان لان البرهان باقٍ في صدرهِ وان تجاوزت بالالحاح قال لك : ان بطرس قد اسس كنيسة رومية وبولس اسس كنيسة الفودوا

فان كان لم يعجبك ذلك فدونك ما قالهُ مسيو موستون في سنة ١٨٣٤ في تاريخهِ عن الفودوا الذي نقحهُ واذاعهُ ثانيةً في سنة ١٨٥١ ولقبهُ القبًا لذت بهِ مخيلة اهل الاوهام اذ دعاه : اسرائيلي الالب : فقد اعلمنا هذا المؤرخ ان القديس سيكوندوس نال اكليل الاستشهاد في سنة ٣٩٠ للميلاد فمن قرى الفودوا قرية تسمى بهذا الاسم فاذًا كان الفودوا منذ ذلك العهد فما راي العاقل بهذا المنطق العجيب . لاسد فو قائله

ولما كان الخبر الجيد يحفظ للاخر اتحفنا القاري براج من خمرة ملفق تاريخ الفودوا في سورية الذي لهُ المحل الاول بين اقرانهِ حكمًا وان تاخر وضعًا فقال في النشرة الاسبوعية عدد ٥٠ سنة ١٨٧٢

ان ما يويد هذا الكلام (عن قدمية الفودوا) قول عدو من اشد اعدائهم وهو رئيس اساقفة طورين اذ يقول ان الدلائل الكثيرة الواضحة تدل على ان هذه القبيلة هي منذ دهور كثيرة وايضًا قال ان اصل الفولدنسيين هوليو رجل ذي قوى زائدة نبغ في زمان قسطنطين

الكبير ورفض الشركة مع سلبستروس الاول اسقف رومية وذلك لما رأى قبائحهُ والمصاريف الباهظة التي انفقها السلطان على الاكليروس . اه

فمن ذلك قلنا لو كان للملفق باصرتان لابصر لكن قد تعامى فخبط خبط عشواء فاعلم يا هذا ان لا صحة لما نقلتهُ اصلاً لانهُ لم يوجد رئيس اساقفة كاثوليكي ارتاى ما رمت اسناده اليهِ ثم انك ذكرت رئيس اساقفة ولم تذكر اسمهُ ولا تاليفهُ ولا العصر الذي صنف فيهِ فمع ذلك قد دلتنا القرينة من ذكرك البابا سيلفيستروس والملك قسطنطين على ان رئيس الاساقفة المشار اليهِ هو فلاوديوس دي سيتل رئيس اساقفة طورين الذي صنف كتاباً عن الفودوا في سنة ١٨١٧ وسماه المجادلة ضد الفودوا لكن ترى ما الذي قالهُ المؤلف المشار اليهِ عن الفودوا وعن قديمتهم فانهُ لم ينقل شيئاً اصالةً من تلك الدلائل الكثيرة الواضحة التي تكلم عنها الملفق بل قد ذكر نقلاً عزى بهِ البعض قوم الفودوا الى رجل يدعى لاون فدعوته انت بالعربية هوليو فاذا حملك على ذلك هل تتطلب العربية تكسير هذا الاسم وقد تسمى كثيرون من ابناء سورية باسم لاون وهذا الاسم تداولتهُ السنتهم فقد كسرته اما تعظيماً لقومك واما اخفاء لمقاصدك وعلى كل مالنا واصطلاحاتك الغريبة لكن نشدتك الله قل لنا متى اعتبر العلماء نقلاً نقلهُ احدهم عن غيرهِ انهُ راي الناقل فها اننا كثيراً ما قد نقلنا عنك في تفنيدنا ازعامك هل تعد كلاماً نقلناه عنك رايناً الخاص واننا نحن القائلين والمعلمين والبانون عليهِ

الفصل السابع

في الاصلاح الموهوم بالنظر الى التمدن

اولاً : في ما افاده عن هذه المسئلة علماء هذا العصر من الابرونستانت الكائنين في احسن مراكز التمدن

اننا كثيرًا ما نسمع اقوامًا قد تستروا بظاهر العلوم والمعارف ولم يرغبوا ببذل ما تتطلبه العلوم من المجهود توصلاً الى المعارف الصحيحة قد فاهوا عن هذه المسئلة بما لم يقفوا له على اثار بل قد استندوه على مدعى امثالهم العارين عن المعارف او على غيرهم ممن قد اوعبت صدورهم اغراضًا

فلما كانت هذه مسئلة تاريخية ووجب اسنادها على ينابيع صادقة اقتضى الاعتماد على التواريخ الصحيحة والادلة الراهنة والاثار غير المشوبة بريب . فقد افادنا التاريخ بنقله الصادق ما يمكنا من الوقوف على صحة واقعة الحال

فان رام ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم المطبوع في بيروت الانضمام بسلك المؤرخين الصادقين فدونه وان يبني تاريخه لا على الاغراض والانحراف بل على الحجج الراهنة والادلة الصادقة والنقل الصحيح فهذه دعائم بنينا عليها بحثنا فمكنا القاري من ابراز حكمه الصائب على هذه الحقايق

ولما كنا بما نقوله من الصادقين وعن الاغراض الملتوية منزهين اعتمدنا قول علماء الابرونستانية انفسهم واخصهم رجال هذا العصر المقيمين في احسن مراكز التمدن في اوربا

فاني اذا ما وجهت الحاظي نحو الاقطار الالمانية مهد الابروتستانية رايت مينسل مورخها الشهير يتنزهه عن الاغراض قد تكلم عن هذه المسالة الزاعمة بان اصلاح لوتيروس كان ايقاظًا للمعارف والعلوم ومهمازًا للفلسفة وبالاجمال لكل ما ينطوي تحت لفظة تمدن موكدًا ومحققًا لكل من له اذنان سامعتان ليسمع بان اصلاح لوتيروس كان عصر وعلة انحطاط الفلسفة وسقوط المعارف والعلوم وادثار الصنائع والفنون وبالاجمال خراب التمدن تمامًا لاسيما اللغتين اللاتينية والالمانية وان هذا الانحطاط لبث جيلين كاملين لم يتكلم فيها علماء المانيا الا لغة لاتينية والمانية بربريتين (مينسل في تاريخ الالمانيين الحديث منذ عهد الاصلاح مجلد ٤ في المقدمة ووجه ٤٢٦ و ٤٢٧ ومجلد ٥ وجه ١ و ٧ ووجه ٢٢٥)

واذا حولنا الحاظنا نحو سفيسرة لاسيما جينيفا ميدان الابروتستانية وحصنها المنيع وقفنا على ما افاده بطرس دي جوكس من حكمه الصائب على الاصلاح الموهوم وقد كان هذا الرجل من خدمة الدين في جينيفا ثم صار رئيس مجمع الابروتستانية في نانت فبدلًا من ان يرى فلاحًا في العلوم المسيحية والتمدن قد بكى بكاء مرا على خراب وبلبلة سببهُ الاصلاح وادخله في التعليم المسيحي . فلذا شمر هذا الهمام على ذراع الهمة والنشاط واذاع تاليفًا انقسم الى اربعة مجلدات وعنونه مواعظ الدين المسيحي وقد بين فيه حقايق الايمان التي كان يعتقد بها الابروتستانت الاولون وفاقًا لاعتقاد الكاثوليكيين لكن قد تركها بنوهم رويدًا رويدًا الى ان تدهوروا في لجة الكفر وعدم الايمان

فزعزعت مواعظ هذا الخادم الابروتستاني الافكار وهدمت

اركان ما يزعمونه من فلاح الاصلاح الموهوم واستيقظت افكار سكان سفيسرة ضد مثل هذه الاوهام الفارغة . فلما راى خدمة الدين مفاعيل هذه المواعظ في القلوب خافوا على مقامهم فاغروا صاحبها بدفع مرتب سنوي بشرط ان يرجع عن اذاعتها . فاقتضح لديه من ذلك ما هو موكد عندنا عن خدمة الابرونستانية حتى وفي هذه الاقطار وينسبوه الى اخصامهم وهو استعمال الذهب والفضة لمنع اذاعة الحق واستمالة الانام لبدعتهم

ومما اجاد به هذا المخادم الابرونستاني ورئيس مجمعهم كلامه عن الارتدادات الى الابرونستانية حيث قال : اني الوم كاثوليكيًا ارتد الى الابرونستانية اذ انه لا يسوغ للانسان ان يترك ما كان كاملاً ليطلب ما كان ناقصًا لكني لا الوم ابرونستانيًا صار كاثوليكيًا اذ انه قد لاق بمن كان على شيء ناقص ان يطلب ما كان كاملاً

افما انه حكم قاطع عما يدعيه اقوام عن فلاح الابرونستانية بالعلوم الانجيلية مدة ثلثة اجيال متوالية ولم يكتف هذا الرجل بما تقدم بل انه قد ثبت موكدًا بان الاصلاح الموهوم ما زال دائمًا يرجع الى القهقرى فنتج من ذلك نتيجة يسهل ادراكها من الوضيع والرفيع

وقد كان العلامة بطرس دي جوكس ماهرًا في مذهبه الابرونستاني لانهُ من ابنه وروساء مجمعه وعليمًا بامر الكثلكة ايضًا وقد بذل المجهود بالوقوف على حقائقها فقصد ايطاليا ورومية فانزاح البرقع عن اعينه فحكم حكمًا صائبًا على اوهام كان من داب جهلاء الابرونستانت ان يلقوها على الكثلكة لاسيما طعنهم بحق احبارها الكرام قدوة الفضل والفضيلة وممن قد انتقح بمثل هذا القدح ناشر تاريخ

الاصلاح الموهوم في بيروت الذي رام اذاعة اكاذيب مذهبه وافترائهِ في اقطار سورية ولم يخشَ لومة لائم في عصر كان محك الانتقاد

فليراجع هذا الملفق شهادة بطرس دي جوكس الابرونستاني المودوعة في تاليفهِ المعروف بكتاباتهِ عن ايطاليا فانهُ يرى فيها رذل هذا العلام لجميع الافتراء الملقى على جبين الكثلكة واحبارها الكرام وانها لشهادة رجل عاقل عالم امتحن الامور بذاتهِ وفحصها في نفس مركزها على انهُ في اقامتهِ في رومية مركز الكثلكة ومشاهدته مدارسها واديرتها والسدة الرسولية معلمتها زالت من نفسهِ كل اوهام ضدها وتاكد افتراء الابرونستانت عليها فرذل ازعامهم وشجب مقالهم

فقد بكى بكاء مرًّا على ما سببتهُ الثورة الفرنساوية من الخراب والفظائع في الجيل الثامن عشر فنسب اسبابها الى التاليف النفاقية والافترائية التي اذاعها اهل الاعوجاج ضد الكنيسة الرومانية وراسها الاعظم فقال ان اهل الكذب والنفاق شرعوا بدسائسهم اولاً ضد مركز الكثلكة ونشروا تاليف الظلام وتصانيف النفاق والبسوا خدمة الهيكل الاحبار الكرام المستحقين كل احترام نظير بيوس السادس وبيوس السابع ثوب العار واوعبوها طعنًا وافتراء ولم يعلم هولاء الجهلة المفسدون بانهم اذا ما القوا سهم في مناهل الديانة مورد النفوس نفروها عنها وبغضوها بها . اه

فقد اندهل كل انسان من اقوال هذا الرجل الاديب الذي بدلاً من انهُ ينسب الى الاصلاح الموهوم نجاح المعارف والتمدن قد نسب اليهِ مسئولية نشاءت عن مآثم ثورة الجيل الثامن عشر فقال: قد تقرر لديَّ ان ثورة الجيل السادس عشر الدينية هي السبب

الخلاصي للانقلاب السياسي الذي انتشبت ناره في سنة ١٧٨٩ واني لموقن بان روح الابروتستانية خليل محض للاستقلال والحرية الاراء بامر الديانة والحكومة انشأ الثورة الفرنساوية التي هي اوسع مبدأ خراب شاهده العالم ولولا ظروف كانت حقًا من الله لهلكنا

هذا ما قالهُ بطرس دي جوكس الشهير غب ان كان قد صرف حياته بالمطالعة والسياحة للوقوف على حقيقة الاحوال ولما كان لم يقصد بابحاثهِ الاَّ التوصل الى الحق جازاه تعالى عن اتعابهِ اذ قد ارتد اخيرًا الى حضن الكثلكة في سنة ١٨٢٥ بعد ان كان صرح بما قدمناه لما كان ابروتستانيًا قبل بسنين عديدة من ارتداده على ان اخر كتابته بهذا الشان كانت في سياحته الثانية في ايطاليا سنة ١٨١٧ حيثما اجاد بما كتبه عن الكنيسة الرومانية التي ما برح ناشر تاريخ الاصلاح الموهوم ينادي ضدها

ومن صفات هذا العلامة الجليل هوانهُ قد ارتد الى الحق لاجل الحق لانهُ قد خسر بارتداده كل نعمة عالمية حتى انهُ قال عن نفسهِ للورد فيتون اودواردوس الانكليزي في كتابة بعث بها اليهِ اني الآن عريان من كل شيء راكضًا وراء الذين يحبون ولا اطماع في قلوبهم واهرب سعيدًا من الفة المتمولين (نقلاً قوله هذا عن احد الشعرا اللاتينيين)

هذا واذا ملنا بالالحاظ نحو فرنسا الشهيرة في التمدن التي قد سعت بفلاحه في كل الوجوه رأت علامتها الابروتستاني الشهير قيزو قد اثنى على الكنيسة الكاثوليكية كل الثناء وانهُ في تاليفه عن التمدن انصف للكنيسة الرومانية ضد اقوام افتروا عليها كانها لا توافق التمدن

وامعن النظر فراى الابروتستانية خاوية خالية وما فيها سوى ظاهر مفخم ومما اذهلك كل الاذهال هو ان الكثلكة ما برحت دائمًا وابدًا تضم بسلك جواهرها علماء مشاهير وفقهاء ممتازين متمسكين بحبال تعاليمها قد سبوا فواد العالم بفضلهم وفضيلتهم وبمقابلة الابروتستانية مع الكثلكة بالنظر الى التمدن ابان فضل الكثلكة واوضح ما في الابروتستانية من الروح الضيق ومخالفة النطق

الفصل الثامن

في ان واقعة الاحوال قد حققت ما تقرر في الفصل السابق على ما اتضح لنا في الاعصار السابقة الاصلاح

انا كثيرًا ما قد سمعنا اقوامًا يثنون على الابروتستانية لفضلها على التمدن . لقد استسمنت ياصاح ذا ورم ونفخت في غير ما ضرم اذ قد وقع حكمك بغير محله فدونك واستقراء اراء ايمة تمدن العصر ومشاهير الابروتستانية انفسهم ترى هل يقرون بفضل الابروتستانية على التمدن افا انهم لا ينكرون عليها هذا الاحسان بل قد قرروا رايًا على ان الاصلاح الابروتستاني قد اضر بالتمدن كل الضرر واوقف سير فلاحه . فهذه تقارير راهنة قررها نخبة رجال التمدن من كل ملة ومذهب

اما نحن فلندع الآن اقوال هولاء المشاهير جانبًا مكتفين بذكر الحوادث وواقعة الاحوال اذ انه اذا ما تكلمت حقيقة الاحوال اغنتنا

عن البيان

فليقل لنا اهل العرفان في اي فرع من التمدن والعلوم والمعارف لم يرتفع علماء الكتلكة فوق ذرى الدرجات ولم يسودوا فوق اعظم السادات في اية الفروع لم يحوزوا قصبات السبق وينشروا راية الظفر وفي اية فروع لم تكلل هاماتهم باكاليل الفلاح ولم يجلسوا على عرش التقدم والنجاح فمع ذلك تراهم قد اختلفوا علمًا وقريحة واميالًا واغراضًا واريحيًا ولهم دون غيرهم الفضل على فلاح العلوم وتقدم المعارف واذا ما رأيت اناسًا لم ينضموا في سلكهم لهم اليد البيضاء على التمدن قل ان هولاء قد اخذوا عنهم او قد ارتقوا الى سلم التمدن لحذوهم حذوهم واعتمادهم على مبادئهم

ليس من العجب ان نرى رجالًا خاضوا بحور العلم قد اتحدوا حينًا في بعض المذاهب فهذا ما قد شاهدناه في مدارس الفلسفة ومذاهب العلوم في كل عصر وجيل لكنه من العجب العجاب ان نرى الكتلكة في كل الاجيال قد جمعت في حضنها علماء لا يحصى عددهم وقد رخصت لجماعتها ان يبحثوا ويتعمقوا ويدرسوا ويتعلموا كل فن وعلم ويطالعوا كل حقيقة وضلال ويخوضوا المبادي ويقفوا على صحيحها وفاسدها ويستشيروا العلوم القديمة والتواريخ ويطرحوا لميدان الجدال عقائد دينهم وحقائق اديانهم ويضربوها على محك الانتقاد ويقابلوها بغيرها ويفندوها واعتراضات تلقى عليها ويبحثوا في اصلها وفرعها وبالاجمال قد رخصت للعقل ان ينزل ميادين المعارف والعلوم اصلًا وفرعًا وان يبارز رجالها ابطال الفنون وان يعرضوا حقائقها على الوضيع والرفيع وان ينزلوها عرضةً للانتقاد فساروا هذه الطريق وسلكوا هذا

المسلك وهم قد انضموا بايمان واحد وتعاليم واحدة وان اختلفت معارفهم وتنوعت معلوماتهم فوطدوا مبادي التمدن وشيدوا اركانه وثبتوا قوانينه ومكنوا شرائعه وكشفوا برقع الخداع عن محيا كل تمدن كاذب وفلاسفة موهوم

اترون شاهدًا على ذلك فدونك وسادات عقدوا المجمع الاخير داخل جدران الفاتيكان افما انهم من كرام الرجال وفحول العلماء هل من علم ولم يجوزوا تصبات السبق فيه وهل من فن ولم يجاسوا على سدته وهل معارف ولم تضمها صدورهم انا قد رأيتهم يبحثون ويجادلون ويتخابرون ويتداولون هذا وقد نهضت دسائس العظماء والوضعاء تهيج بهولاء السادات الاغراض وتسند الاراء وتسعى بفصلهم وتحاول انشقاقهم فمع هذا كله قد اتفقوا على راي واحد بوحدة ايمانهم وتعاليمهم مثبتين مبادي التمدن الحقيقي وناشرين راياتها وقد اوقفوا العقول من ان تضل بمعاني بشارة الكلمة الازلية المبشرة بمبادي التمدن الحقيقي والتعاليم الصحيحة غير الملتوية

هذه هي سمة الكنيسة في كل عصر وجيل هذه سمة الامينة الصادقة على التمدن الحقيقي فلم تبزغ انوارها في افاق المشرق الا راينا نخبة علمائه قد احنوا لها الراس . سريعًا يا صاح الى اغريقيا اليونان والى اقطار النيل افما قد رايت فحول العلماء وان اختلفوا اراء في علوم اودعتها صدورهم قد انضموا جميعًا بوحدة ايمانها وتعاليمها محافظين على المبادي الصحيحة والعلوم الصادقة

قد راينا الاقوام البرابرة طغوا كالطوفان على اثار المملكة الرومانية فغرقوا سكانها في بحر الجهل لعمري من الذي حفظ لنا كنوز التمدن

وقديم العلوم والمعارف فهم ابناء الكنيسة الكاثوليكية وحدهم فقد اوى هولاء الابطال كهوف الجبال وصنعوا لانفسهم ملجأ في الغاب وحفظوا فيه وديعة المعارف والعلوم واكنزوا للعالم اجمع كنوز المبادي الصحيحة والتعاليم الصادقة

فاين كنت يا مذهب الاصلاح وابناء الكنيسة الكاثوليكية ياوون البراري محافظين على كنوز التمدن والعلوم قل لنا اين كانوا اينك ومن اين استقوا مياه معارف افسدوها فاولدوك انت ثمرة احشائهم فمزقت ثوب التمدن الحقيقي وجلببت الالفة البشرية بجلباب الهوان

سر بنا يا صاح الى عصر لاون العاشر بابا رومية هل من وسعك تعداد كواكب علوم سطعت في عهده . القِ الحاظك على تاريخ ملوك الفرنسيس وتامل عصر لويسهم الكبير فمن هم اولئك الرجال الحاشرين العلوم والمعارف في صدورهم افما هم ابناء الكثلكة

سر بنا الان الى القرن الاخير حتى هذه الساعة من هذا قرن الانوار واستقرأ احوال التمدن هل تستطيع انكار ضياء الشمس في رابعة النهار افليس مشاهير ايمة التمدن هم ابناء الكثلكة بل ان مشاهير الابروتستانية بين ايمة التمدن قد جحدوا مذًا ربوا فيه وانضموا الى سلك الكثلكة الواحدة ايمانًا وتعليمًا وبها التمدن الصحيح والفلاح الحقيقي

فما علماء الكثلكة في عالم التمدن والمعارف الاّ كنجوم السماء فاذا ما اختلفت جرمًا وحركة فقد جذبتها قوة جاذبة واحدة حول مركزها الواحد فالفت مجموعًا ولا تعاب بهذا الانجذاب اذ لا تنقص جرمًا او بهاء بل قد ازدادت بهاء لانضمامها ببعضها فاكسبت احداها

الاخرى نورًا

فهذا مثال نظام وضعه ابن الله في بيعة الله فقد كثر علماؤها عددًا ومعارف واختلفوا قريحةً واقتدارًا فقد داروا جميعًا في مركزها متقدمين في التمدن الحقيقي والفلاح

هذا وانا كثيرًا ما قد وقفنا على اساطير نشرت في الاقطار السورية وكانت صدى اراء اقوام زعموا انهم ابناء القرن التاسع عشر ذي الانوار الساطعة واخص ما تضمنته تلك الاساطير انكارها المعارف على الكاثوليكيين الخاضعين لحقائق الدين ولسلطان الدين

غير ان صاحب الاساطير المذكورة قد فهم باهل المعارف اقوامًا خلعوا نير الطاعة الدينية والخضوع لكل سلطة كنائسية فلذا كانوا لديه علماء وابناء عصر الانوار بيد اننا نعهد العلماء الحقيقيين هم الذين يبحثون في الحق لا الذين يحارون عنه والذين يخضعون اذهانهم لحقائق اله الحق لا الذين يضلون عنها اذ ان العلم قد انحصر بمعرفة الحقائق لا بالانحياز عنها والاستنارة تستفاد بانوارها لا بظلام الاضاليل فهذه معارف وعلوم ازدانت بها صدور الكاثوليكيين الصادقين فكانوا جهلاء لدى ابناء القرن التاسع عشر

الفصل التاسع

في ما كان من انهاض التمدن في عصر الاصلاح

زعم ملفق تاريخ الفودرا في اساطيره المنشورة في هذه الاقطار السورية ان التمدن قد نهض من سنة الرقاد وبزغت انواره

واشرقت بظهور الاصلاح الموهوم ومساعي مبدعيهِ واخذ الملفق المذكور يقدم ويأخر ويتلاعب بالتاريخ زاعمًا بتمويهاته اقناع القاري بتلاعبه

كيف نعزي ياصاح لاربابه بدعة الضلال انوارًا سطعت في الاقطار الاوروباوية ولم يكن اذ ذاك اهل العصيان قد عاينوا ضوء النهار . كيف نعزي اليهم انوار التمدن وهم هم الذين قد اوقفوا سيره على ما افاده علماء الابروتستانية انفسهم

فقد انبأنا التاريخ الصادق ان اوربا كانت في غرة القرن السادس عشر كوكبًا قد سطعت انواره بعلومها وفنونها وصنائعها حتى ابهرت عقول العقلاء وحيرت فهم الفهماء فنمت غرسة التمدن وازهرت واثمرت واشرقت انواره وسطعت حتى لم نرَ لها مثالاً في الاعصار السابقة لتقاعد اهلها عن نزول ميادين المعارف ولا في الاعصار اللاحقة لكثرة ترفعات اهلها وفساد ارائهم ومباديهم ولانتشار فساد الاصلاح الموهوم وضلال تعاليمه وسوء مساعي ارباب

فمن كان على ريب في ذلك فدونه والوقوف على صحة التاريخ الصادق اي نعم قد يخدع مطالعوا اساطير الملفق في هذه الاقطار لعدم وقوفهم على ينابيع التاريخ الصافية لكن هل يستطيع الملفق ان ينشر مثل هذه الاكاذيب في الاقطار الغربية او في اقطار اخرى ضربت فيها حقايق التاريخ على محك الانتقاد الصحيح كلاً ثم كلاً ما اساطير لفقها الملفق الاّ وقد عاملها اولي الابصار بما استوجبته من الهزء والاحتقار

افادتنا التواريخ الصحيحة انهُ كانت قد انحطت منزلة المعارف

والفنون باضطراط المملكة الشرقية وانشغل اهل القرائح بالدسائس والمكائد والمفاسد عن العلوم والصنائع حتى وطئ الغزاة اراضيهم وصعدوا على عرش ملكهم وذلوهم كل الذل فانطفأت انوار العلوم من افاق اوطانهم ولما كان منهم اقوام قد احبوا كنوز العلوم وفضلوا جواهر الفنون على هواء الاوطان ومعاشرة الخلان هجروا القسطنطينية ودخلوا الاقطار الايطاليانية فتلقتهم مدينة فلورنسا بالترحاب وخففت وقر ما حل بهم من المصاب فسر القوم بايطاليا شقيقة اغريقيا مناخاً وخصالاً وانكبوا على الفنون والعلوم وايقظوا الاهلين من غفلتهم حتى رأيت بعد مرور امد ليس بمديد قد نمت شجرة المعارف وسطعت انوار العلوم وساد جواد العقل وبانت فرسان الميدان وحاز اهل القرائح قصبات الرهان فخلد ذكرهم في كل عصر وزمان

هذا وقد ظهرت الابطال في كل فن فاخترعوا المطابع ودخلوا بلدان جديدة فاكتشف دياز على راس الرجاء الصالح واكتشف كريستوف كولومب على امركا وسار فاسكا دي غاما على الهند الشرقي وكان ماجيلان اول من طاف حول الكرة المرة الاولى ودخل بيزار اقطار بيرو والبورتوغاليون اقطار البريزيل

حبذا رجال ظهروا في تلك الايام فخلدت اسماؤهم بين الانام فظهر دانت الشاعر الفريد وظهر رجال اصبحوا مثال الفصاحة والبلاغة فما من علوم وفنون وصنائع ومعارف الاّ وقد ظهر وقتئذٍ ايتها الكرام وارباها المشاهير بين الانام فارتقت درجات التاريخ وارتفع مقام الهندسة وجواد علم الفلك سار في قبة الفلك

كان هذا جميعه ولم يكن لوتيروس وخلانه اهل العصيان في الوجود فاين كان يا صانع اية الاصلاح الموهوم وقد اشرقت انوار العلوم في عهد البابا لاون العاشر واني لصناعة الهندسة ان ترى مثل ميكائيل انجلو وللتصوير ان يرجع اليه عصر رافائيل فاين كان لوتيروس وهل علم انسان وقتئذٍ بكلفينوس

فاذا كان ذلك هل نسلم لك بالمحال ونقر لجماعتك بايقاظ النهدن وقد اينعت اثماره قبل وجودهم بالكون بل انهم لما ظهروا اخروه عن سيره فكدروا صحو افاقه الغراء واوقفوا جواده في الميدان وحطوه عن عظمته الرفيعة الشان ولم يخفَ الحق على انسان استند على صحيح الادلة والبرهان

الفصل العاشر

في ان معرفة اللغات العلمية تبرر الكثلكة من فرية ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم

قد اتضح لدى المطالع ان ملفق تاريخ الاصلاح قصد ان يوشح الابروتستانية بوشاح المجد والافتخار بيد انها فتاة عارية كما وان من عزمه ان يعري الكنيسة الكاثوليكية من ملابس عظمتها ويسلب منها ثوب فلاحها ليستر به عورة فتاته المشوهة فلذا رأيته يعزي اليها ما للكثلكة حتى افترى على هذه بانها ادخلت في العلوم روح البربرية والظلم والجهل

فلا غرو فان مثل هذه ايراداته الفارغة يهزأ بها من له ادنى المام

بعلم التاريخ ولذا لو نادى بها في الاعصار الاورباوية لسخر به القوم وقهقهوا ضحكًا لخزعبلاته افلا تهزا اوربا به لقوله ان البابا وات قد بذلوا مجهودهم ليبقوا الشعوب الخاضعين لسلطانهم في الجهل غير ان هولاء الشعوب قد فتحوا اعينهم وان شيئًا واحدًا استطاعت به الكنيسة ان تحفظ رياستها وهو تفاوتها في المعارف والعلوم لكن لما اخذت الشعوب تنمو في العلوم سقطت الرياسة (النشرة الاسبوعية سنة ١٨٧٣ عدد ١٩)

هذا وكان قبل ذلك اهدى مطالعي اساطير في سورية تحفة بعض اقاويله الصبيانية حيث قال: ان الكهنة كانوا قد اختصوا لانفسهم حق توزيع نعم الخلاص مزدرين بالمعارف والعلوم وان الرهبان قد زعموا بان الهرطقات قد نشات عن درس اللغتي العبرانية واليونانية حتى قال احدهم ان من درس العبرانية عرض نفسه لان يصير يهوديًا وان العلما الايطاليان قد احتقروا الترجمة اللاتينية لسقم عبارتها مع ذلك امرت الكنيسة الرومانية باستعمالها ورذلت كل ترجمة سواها (النشرة الاسبوعية سنة ١٨٧٣ عدد ١٢)

فهذا وخلافه من الهذر قد شحن به الملفق قراطيس نشرها واننا نضرب صفحًا عن كثير منها بل اننا كنا سكتنا عن جميعها لولا مسه الكنيسة الكاثوليكية وافتراؤه عليها بقوله انها عدوة اللغات العلمية بيد ان انوار التاريخ الصادق تبدد اوهامًا رام الملفق القاءها في الاذهان السليمة وقشعت برقع ضلال حاول اضلال الناس به

فاين كان الاصلاح واية الاصلاح لما اقامت الكنيسة الكاثوليكية المدارس لتعليم اللغات العلمية فاين كان لوتيروس لما كانت هذه

البيعة الجزيلة الغيرة قد بذلت المال والعلم بتعليم هذه اللغات الجليلة حتى انهُ اذا ما وجدتَ شيئًا حسنًا في الابروتستانية لدى هجومها انما كانت قد اخذته عن الكثلكة وانهُ لثوب سلبته وانتحت بهِ سترًا لعورتها وخداعًا للناس بظاهر محاسنها

فان كنت على ريب في ذلك فان يد التاريخ الصادق تصدع رداء الشك اذ قد قررت لنا بانهُ في غرة القرن الرابع عشر قبل ان جاء لوتيروس الى الوجود امرت بيعة الله المقدسة بتعليم العبرانية والكلدانية والعربية علنًا في مدارس رومية وباريز واوكسفورد وبولونيا وصلامنكا وان البابا اكليمنضوس الخامس الذي وضعه الملفق بسلك باباوات زعم بانهم كانوا اعداء العلوم ومجبرين الشعوب على اللبوث في ظل الجهل انما هو من الباباوات الذين نجحوا تعليم اللغات العلمية ومن مقاصد هذا الحبر الجليل بذلك تصحيح الترجمات وتفسير الكتاب بالمتن الاصلي مع مراعاة حرمة الترجمة اللاتينية اسنادًا للعقائد الدينية وسدًا لافواه الاراطقة الذين من دابهم التلاعب بكتاب الله

فمن العلماء الكاثوليكيين الذين اشتهروا بتعليمهم هذه اللغات العلمية في اواخر القرن الرابع عشر واوائل الخامس عشر العلامة جان روشلين الكاثوليكي امام علماء العبرانية حتى انه كان اول من جعل علم هذه اللغة صناعة وان جان فيسيل من غرونينك من هولاندة كان قد علمهُ مبادي اللغة المذكورة فعلمها هو لمن رغبهم في تعليمها كما وانهُ بمساعدة بيوس دي ميراندول الشديد التعلق بالكنيسة الرومانية رغب المغرب بدرس اللغة العبرانية

اما نظرًا للغة اليونانية فقد ابتدا تعليمها اولاً في ايطاليا قبل ان

تظهر البروتستانية ثم انتشر تعليمها في فرنسا ثم في سائر اقطار اوربا ولدى ظهور لوتيروس كان قد نجح تعليم هذه اللغة في باريز العلامة الايطالياني غريغوريوس من نيقورتو وغب قليل حظيت بها المانيا حيث علمها العلامة جان روشلين الشهير الذي كان قد علمها اولاً في اورليان وبواتيه ثم في اينغلوستاد ولدى وجوده مرة في رومية شرح توثيديد شرحاً عجيباً ونطق به نطقاً جميلاً بحضرة ارجيروفيل اليوناني الذي لعظم اندهاشه صاح قائلاً : ان اغريقيا المنفاة قد قطعت جبال الالب

هذا وقد فلح الكاثوليكيون في هذه اللغات وغيرها فاشتهر بينهم العلامة انطونيوس من نيريا وارازموس ولويس فيفيس ولورانسيوس فيلا وليوناردوس ارثين والكاردينال بمبو وصادولیت وبوجي وغيرهم كثيرون

فليقل لنا الملفق اين تعلم هولاء المشاهير اللغات العلمية هل في المدارس الابروتستانية أفما ان البابا وات هم اول من بذلوا المجهود بتعليم هذه اللغات وانتشارها فصرفوا عليها الاموال الكثيرة حتى اغنوها بجمع الكتب العلمية افما ان البابا وات هم اول من القوا الانظار على متعلميها وعلى معلميها وانعموا عليهم بحسن الجوائز وملأوا خزائن الكتب بمشتراهم تأليف خطتها الايدي

فلا غرو فان ملفق تاريخ الاصلاح لم يعِ كل ذلك وقد جاء يبشر اقطار المشرق باعلانه الجهل فاعلم يا هذا ان الاولى بك ان تتعظ من كلام الحق القائل : ايها الطبيب اشفِ نفسك فبدلاً من انك تسعى ان تنير الاقطار السورية بانوار التاريخ فدونك وان تتعلمه

انت اولاً وتبين بهِ اذهانك عساك تنجو من داء الجهل وسهام اهل العلم

الفصل الحادي عشر

في ان المدارس الجامعة قد تشيدت في عهد الباباوات، وانظار الباباوات قبل هجوم طوفان الابروتستانية المضمحلة الاثار الجليلة

فمعلوم هو انهُ من اخص الاسباب التي اتسعت بها دائرة العقول علمًا ومعارف المدارس الجامعة التي هي مركز قد جمع جميع فروع المعارف والعلوم والصنائع والفنون وما سخت بهِ القرائح الجوادة والعقول الرفيعة حتى اصبحت منارة استنارت بها الاعصار فخرجت من ظلام الجاهلية وسارت في طرق التمدن الحقيقي وكانت المدارس المذكورة على ما يعلمنا التاريخ الصادق قد سطعت انوار علومها في الافاق ومدنت اقطار المغرب قبل طغيان الابروتستانية الساعي ملفق اساطيرها بان يعزي اليها مثل هذا الفضل الجليل والاحسان الجميل بيد انها حيوان بهيم دخل حديقة عالم المعارف والعلوم فدلسها برجليهِ ولولا فضل الكثلكة لكان اعاد الاعصار المنورة الى قرون الجاهلية

فلنا ان المدارس الجامعة مراكز المعارف الزاهرة كانت قبل ظهور الابروتستانية وقد انشئت بانظار الباباوية فان مدرسة اوكسفورد قد انشئت في سنة ٨٩٥ من سر الفدا ومدرسة كامبريج في سنة ١٢٨٠ ومدرسة براغا في ١٣٥٨ ومدرسة لوفين في ١٤٢٥ ومدرسة فينا في النمسا في ١٣٦٥ ومدرسة انغولستاد في ١٤٧٢ ومدرسة

ليبسيك في ١٤٠٨ ومدرسة بآل في ١٤٦٩ ومدرسة سالامنكا ١٥٠٠
مدرسة الكالا في ١٥١٧

هذا وليس من ينكر القدمية على مدارس باريز وبولونيا وفيراري وغيرها التي حازت تمام الشهرة قبل هجوم طغيان الابروتستانية

ومعلوم هو لدى اولي الالمام ان الباباوات كثيرًا ما قد ابدوا تمام الغيرة بانشاء هذه المدارس وتقدمها وكثيرًا ما قد انعموا عليها بانعامات وامتيازات فاذا كان ذلك فليقل لنا ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم إلامَ قد استند بسلبه هذا الفضل عن الكنيسة الكاثوليكية حتى نطق بالهذيان فقال ان رومية كانت تسعى باطفاء الانوار من عقول شعوبها بقصد ان تبقيهم في ظلام الجهل فهذه وخلافها من الاقاويل التي تقول بها الملفق على الكنيسة الرومانية واحبارها الفخام ضربنا عن ذكرها صفحًا وبذلك نستوجب امتنان ملفق ذلك التاريخ اذ لم نشاء اعلان جميع ابراداته الفارغة المغطته عارًا وهوانًا

كيف لا يخزى ويخجل افريته على البابا وية وقد سبقت العناية الالهية وبررتها فعلاً وسدت افواه القادحين قبل ظهورهم الموجود اذ كانت قد اقامت على سدة الحق ذلك الحبر الجليل مهاز العلوم والمعارف نصير العلماء والبلغاء ومقصد الادباء والفقهاء من قد سفت بحور احسانه الفياضة عليهم وعلى المدارس جميعًا حتى اوصل الغدن الحقيقي الى ذرى الفلاح فنزعت عنها الالفة البشرية اثار بقايا الجاهلية واتشحت بملابس الانوار الزهية . هل يستطيع الملفق ان ينكر على ذلك الحبر المفضال اعني به البابا لاون العاشر عظم الفضل على المدارس وعلومها ومعلميها ومتعلميها ومن فلح فيها انما ان البابا لاون المخلد الذكر

السعيد هو الذي اوصل الثمدن الى اعلى المراتب العالية

فان انكر الملفق ومعاضدوه هذه الحقايق التاريخية الراهنة فان اولي العقول الصائبة ينصفون للكثلكة ويثنون على فضلها واحسانها وقد رذلوا حجج الملفقين الواهنة

فكيف اوقع العذول اللوم على رومية وهي اذ ذاك ناشرة راية المعارف والعلوم وآخذة بيد العلماء وارباب الفنون بغيرتها الوفية وعنايتها السنية

فلقد اصاب العلاّمة شاطوبريان اذ قال : ان مذهب الاصلاح لما كان قد سعى بروح مبدعه الراهب البربري الحسود نشر راية العدوان للصنائع وهدم مخيلة الانسان وداس القرائح بارجله

فلو نال هذا المذهب فلاحًا في ابتدائه لكان غرق الالفة زمانًا في بحر بربرية لاتختلف عن بربرية الجاهلية فانه قد اعد عظمة الهياكل خرافات وملح صناعة الحفر والهندسة والتصوير وثنية وجنح لان يضمحل الفصاحة والبلاغة والنظم والنثر ويفسد الذوق فيحوله عن اقتناء الاثار الجميلة لينزله ميادين امور ناشفة بايسة باردة ويبدل بالفة مادية الفةً نجمت عقولاً وقرائح ويجعل بدلاً من الحركة العقلية اداةً جامدة فقد رذل هذا المذهب التقليدات القديمة والاختبار وحكمة الاقدمين وابتعد منذ ظهوره عن فلاسفة عصر لاون الكبير ذلك الجليل ومحامي العالم المتمدن ضد بربرية هطيلا ذلك الذي قد ضمحل من الالفة اثار الجهل ثم ناء عن فلاسفة عصر لاون العاشر الذي حسن الالفة كل التحسين حين قامت بذلها ولم تعد تحتاج الى من يمسك بيدها

(شاطوبريان : كتاب الدروس التاريخية)

فمع ان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم قد تقاعد عن الاعتراف بحقيقة الاحوال لاستغراقه في بحور الضلال فمع ذلك قد اقر بانه لدى ظهور فتاته المشرة كان العقل البشري آخذًا بالنمو علومًا ومعارف ولم يعوزه الاَّ من يزيد حركته سرعةً فقد اثبتنا على اقراره واصبحنا بامتنان لايضاح امتنانه لوجود تلك الحركة العقلية لكن فليقل لنا اين كان الاصلاح ومبدع الاصلاح لدى انشاء تلك الحركة العلمية فليعلم انها حركة حركتها الكثلكة بانظارها ومساعيها وغيرتها وهمتها وان هذا المذهب الحق لايخشى النزول في ميادين البحث والجدال بل قد خاضها وكشف الغبار عن محيا الكثلكة السابق في النور وقد حاربت الظلام واهل الظلام وما ميادين تنزلها بحثًا وجدالاً الاَّ وقد زادت انوارها ضياءً وبهاءً

الفصل الثاني عشر

في ما افترى به صاحب الاصلاح على كنيسة رومية بخصوص ترجمات الكتاب المقدس

فمن جملة ما افتراه ملفق تاريخ الاصلاح على الكنيسة الكاثوليكية دعواه بان هذه كنيسة الحق والمحافظة على وديعة الدين الحق قد رذلت جميع ترجمات الكتاب المقدس وصدقت على ترجمة الفولكاتا اللاتينية واجبرت المؤمنين على مطالعتها دون غيرها وهاك قولهُ حرفيًا على ما نشرته النشرة الاسبوعية الابروتستانية عدد ١٢ سنة ١٨٧٣ : ان علماء اللاتينيين في ايطاليا احتقروا الكتاب المقدس في تلك اللغة لقلة

فصاحتها وهي النسخة المعروفة بالفولكاتا التي حكمت كنيسة رومية باستعمالها ونهت من استعمال كل ترجمة اخرى :

أفلا يخجل هذا الملفق من نشره الاكاذيب وخداعه الناس بازعامه المضلة فكيف يفتري على الكنيسة الكاثوليكية المقدسة وقد صدقت هذه الكنيسة علنًا على الترجمات المترجمة الى اللغات غير اللاتينية نظير ترجمة الكولي الالمانية وترجمة السيد كينريك الانكليزية وترجمة السيد مارتيني الايطالية وترجمة الاب دي فيقو البولونية وترجمة الاب غلير الفرنساوية وغيرها من الترجمات التي حثت المؤمنين على مطالعتها فاذا كان ذلك كيف ساغ لهذا الملفق ان يدعي بان الكنيسة الكاثوليكية قد رذلت كل الترجمات خلا الفولكاتا بل انهُ في كلامهِ على الترجمة اللاتينية قال ان الكنيسة المقدسة تقاوم تعليم لغات كتبت بها او ترجمت اليها الاسفار الالهية نظير العبرانية والسريانية واليونانية فلو كان الملفق على المام بعلم التاريخ الصادق لكان اطلع على حقيقة تصديق الكنيسة على الفولكاتا في ابحاث المجمع التريدنتيني المقدس ومراسيمه الكريمة فان الكنيسة قد بحثت في الترجمات اللاتينية المختلفة ورامت التصديق على اصحها واكثرها استعمالاً في الكنيسة لتكون ترجمة رسمية بايدي المؤمنين يعتمدون على صحتها ففرزت الفولكاتا عن سائر الترجمات اللاتينية الاخر وفضلتها عليها وقر القرار على استعمالها رسميًا لكنها تركت الترجمات الاصلية كاليونانية والعبرانية والسريانية كل اعتبارها وقوتها الان هذه الترجمات هي ميزان بيت المقدس توزن بها كل ترجمة حتى والفولكاتا ايضًا والى هذه المتون الاصلية تسند الكنيسة صحة العقائد الدينية وتسد افواه الاراطقة ولاجل

هذا التصديق على الفولكاتا قد جرت ابحاث كثيرة في المجمع واجتمع فيه مشاهير العلماء الماهرين في اللغات العلمية الاصلية نظير العلامة يعقوب لاينيس وفيغا وصالميرون الذين ما زالت كتاباتهم بهذا الشأن محفوظة رسميًا وقد شهدوا واكدوا بانه لم تكن غاية تصديق المجمع الموما اليه على الفولكاتا منع استعمال المتن الاصلي ولذا كلما مست يد التلاعب ايات الله المنزلة تسلحت بيمة الله المقدسة بالمتن الاصلي وسدت افواه المتلاعبين وبناء على هذه عادة الكنيسة وتعليمها نهض المدافعون على صحة الايات الشريفة وقاوموا يد التلاعب التي اعتلت في تلك الترجمة العربية الابروتستانية المطبوعة حديثًا في بيروت الزاعم اربابها بانها قد ترجمت وفقًا لليونانية والعبرانية فرشقهم المدافعون بسهام الانتقاد وقد استندوا الى متن اليونانية والعبرانية فظهر تلاعب المتلاعبين وغطاهم الخزي والعار اذ قد اتضح تحريفهم كالشمس في رابعة النهار وقهقه عليهم ضحكًا الكبار والصغار حتى اخذ علماء ملة الاسلام انفسهم يصدقون المدافع على مدافعته ويلومون المتلاعب على تلاعبه

فان كان الملفق يعلم بان الكنيسة الكاثوليكية لم تحصر تصديقها بالفولكاتا وحدها دون سائر الترجمات لم يفتري على هذه الكنيسة وان كان يجهل ذلك فلم لا يطالع التواريخ الصحيحة هل يزعم بانه اذا ما افترى سوّد عرض الكنيسة الكاثوليكية لا لعمري فليس في اوراقه الا ما يعرب عن جهله بامر التاريخ الصحيح

الفصل الثالث عشر

في ان ترجمة ادعى لوتيروس بانه قد ترجمها عن المتن العبراني قد استعان عليها بتصانيف صنفها احد الرهبان بهذا الشان على ما انبا نا التاريخ الصادق

ان ملفق تاريخ الاصلاح قد اقرن فريته على الكنيسة الكاثوليكية بانها ترفض تعليم اللغات العلمية بفرية افتراها على الرهبنات والرهبان اذ زعم في العدد ١٢ سنة ١٨٧٢ من النشرة قائلاً : وكان الرهبان يدعون ان جميع الارطقات قد نبعت من هاتين اللغتين (اي العبرانية واليونانية) وقال واحد منهم ان اليوناني لغة جديدة اخترعت حديثاً يجب ان نكون على حذر منها واما العبراني ايها الاخوة الاعزا فقد تحقق ان كل من تقله يصير يهودياً بالحال هذه على شهادة هرسباج صديق اراسيموس : لله دره من ملفق يفتري على اهل الفضل والفضيلة وقد استند على الاقاويل المعتنة

خذ ما نظرت ودع شيئاً سمعت به
ففي طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

هل يثق اولوا الالباب بتلفيق الملفقين وقد اشرق بدر علوم الرهبانية في الافاق لكن ما لنا والجدال بهذا الشان فان فضل الرهبنات علوماً ومعارف غني عن البيان ولا يوثر افتراء المفترين بعقول المتقدمين والمتاخرين . فمع ذلك ان في حادثة تاريخية ما يخذل المفتري على الرهبانية حتى وفي عهد رب اصلاحه الموهوم

فمن ادعاء لوتيروس زعمه بان قد ترجم الكتاب المقدس عن

الاصل العبراني وقد رغب في ان ترجمته تسد لدى ملته مسد كل ترجمة غير انهُ قد اجمع العلماء رايًا من الابروتستانت وغيرهم ان ترجمته افسد الترجمات فلذا رذلوها كل الرذل على ما قدمنا سابقًا في قطعة عنوانها : في رتب الاصلاح والكتاب الشريف (جزء ١ فصل ٦)

فان رأيت شيئًا صحيحًا في ترجمة لوتيروس المذكورة فانما قد اخذه من تصانيف صنفها احد رهبان ماري فرنسيس قبل ظهور لوتيروس بجيلين تامين فلما لم يستطع لوتيروس ان يكبح في نفسه روح الادعاء ورام لملته ترجمة من نفسهِ وقد جهل اللغات العلمية لاسيما العبرانية التي لربما قد تعلم منها حروفها الهجائية او بعض المبادي الاصلية اختلس كنزًا رهبانيًا كان اكتنزه لبيعة الله المقدسة الشهير ليران اي نقولا ليرا سليل الرهبنة الفرنسيسكانية الذي لقبه اهل عصرهِ بعلامة النفع . فولد نقولا المومأ اليهِ في ليرا احدى مدن نورماندیا في فرنسا الواقعة بالقرب من فيرنويل من ابرشية افرو وقد هدتك على ذلك كتابة رسمت فوق مدفنهِ ودخل نقولا المذكور الرهبنة في ١٢٩١ وابتدأ في دير فيرنويل وغب ان ترشح بالعلوم الابتدائية ارسل الى باريز ليتقن العلوم والمعارف لاسيما علم اللغة العبرانية فانعكف الراهب المذكور على كتاب الله الشريف وعلى تفسيرهِ ولتاكده بانهُ لا يتوصل الى معانيهِ الجليلة ما لم يحسن اللغة التي انزل الكتاب بها جدَّ في تعلمها وصرف في تعليم الكتاب المقدس في اللغة المنزل بها سنين عديدة اي من سنة ١٢٩٢ حتى ١٣٣٠ باحثًا في المتن الاصلي ومطالعًا تآليف المفسرين حتى برع في هذا الفن وصنف فيهِ تصانيف جليلة واعطى قواعد راهنة لادراك معاني كتاب الله الشريف . فحازت تآليفه الشهرة في عصرهِ

وسائر الاعصار الاتية حتى لهج الرفيع والوضيع بفضلهِ في بيعة الله المقدسة وعليها بهذا الكنز الثمين الصريح العبارة والعذب الالفاظ فقالوا قد طربت بيعة الله واطربت الناس بصوت عودها وما ذاك الاَّ لعذوبة الفاظ نقولا ليرا المذكور على ان لفظة ليرا معناها العود وهو احد الالات الموسيقية . ولما وسوس للوتيروس روح عجرفته ان يترجم الكتاب وهو لا يدرك العبرانية فاستعان بتفاسير العلاَّمة ليرا المعبر عنهُ بالعود فقال الهازئون بلوتيروس والساخرون بدعواه: لولا العود الرخيم لما استطاع رقصًا لوتيروس اللئيم

فانبأ التاريخ ان قد هام ذلك العصر بتصانيف عود بيعة الله المقدسة في كتاب الله الشريف حتى ادهش عقول علماء النصرانية واليهودية معًا فمنهم صلمون لاوي اليهودي الاصل والذي ارتد فيما بعد الى حضن الكثلكة وصار اسقفًا على مدينة بورغوس ثم صار صدر وزارة يوحنا الثاني ملك لاون وكاستيلا ومات بطريركًا على اكويلا في ١٤٥٢ فهام هذا الاسقف والبطرك والصدر بترجمة ليرا وشروحاته ومزيد تعمقه بالعبرانية حتى انهُ طبعها وذيلها بشروحات نفيسة ومثله قل عن العلاَّمة الفونس اكبر مدرسة الكومبوتل سنًا وغيرهما من العلماء المشاهير حتى يومنا هذا

فقد اتضح ان نقولا ليرا قد درس الكتاب المقدس في اللغة العبرانية سنين عديدة ودرس اللغة المذكورة في باريز قبل ظهور لوتيروس بمايتين سنة وان ليرا المذكور راهب فرنسيسكاني وان قد شهد بفضلهِ مشاهير العلماء حتى ومن اليهود انفسهم فاذا كان ذلك وكان المتعلم والمعلم العبرانية راهبًا وقد عاش قبل ظهور الاصلاح باجيال

واستنار بانوار هذا الراهب مبدع الاصلاح ذاته فكيف ساغ للملفق تاريخ الاصلاح ان ينعت الرهبنات بالجهل خصوصًا جهلهم اللغات العلمية كيف ساغ له القول ان الرهبان كانوا يدعون ان جميع الارطقات قد نبعت من تعلم العبرانية وان كل من تعلمها لا بد له من ان يصير يهوديًا وما شاكل ذلك من الاقوال الافترائية بيد انهم كانوا دائمًا وابدًا يحافظون على كنوز العلوم والتعليم حتى وفي الاجيال البربرية وانارو العالم بانوار علومهم وتعاليمهم . فلِمَ يفتري المفتري على الرهبان والرهبنات العلة بعد ان اتضح تحريفه كتاب الله الشريف وتلاعبه بالاسفار والايات الكريمة لم يرَ طريقة يبث بها آراءه المفسودة الاَّ التلفيق والافتراء هل خال لاذهانه بانه يقتنص اهل المشرق باحبولة خزعبلاته اذ لم يستطع ان يخدعهم بتلاعبه وتحريفه

الفصل الرابع عشر

في الحرية والاصلاح الموهوم

الحرية : وما ادراك ما الحرية فنعم الحرية ان كانت حقيقية غير اننا رأينا الناس يتركون حقيقة معنى الالفاظ وصحة الامور ويتمسكون بما وافق رغائبهم فكل ما وافق كبرياء البشر عظموهُ وفخموهُ وانزلوهُ منزلة الايات فهكذا قل عن حرية نادوا بها في الافاق فما هاموا بمنادتها الاَّ لموافقتها مآربهم وقد استندوا عليها اغراضهم . لعمري لقد رأينا في كل عصر وجيل على ما انبانا التاريخ وشاهدنا في كل اين وحين اهل العصيان ناشرين راية العصيان باسم الحرية فاية مملكة واية سلطة

واي عرش وكرسي واي مبدأ ونظام لم يزعزع اهل العصيان اركانه بمناداتهم بالحرية فباية الطرق واية الوسائل هيجوا الشعوب على ملوكها والمرؤسين على رؤسائهم والعبيد على مواليهم والوضيع على الرفيع والفقير على الغني والظلم على العدل والاعتداء على الحقوق والحرام على الحلال أفما بصوت الحرية الصارخ في الازقة والشوارع وفي البدو والحضر فمنذ هنيهة رأينا احسن المدن واعظمها قد ذهبت اثارها الجليلة فريسة النار ورجالها فريسة السيف ونظامها فريسة القلاقل والفساد بمناداة العصاة الحرية الحرية ما احلى اسم الحرية ولكن ياما اقبح ما استعملها الاشرار فاورثوا الالفة الدمار

فباسم الحرية وباسم التسوية راينا اوربا تخضبت بالدماء وتدمرت منازلها وخربت اقطارها لدى تطاير شرار الاصلاح الموهوم الصارخ علنًا والمنادي جهارًا بكونه نهوض العقل البشري فلم تخمد من هذا الاصلاح النار فان خمدت لحظة في الاقطار فانها لم تخمد في الافكار بل ما زال القوم يحاولون اثارتها حيثما كانوا واينما حلوا حتى ان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم رام باساطير ايقاد نيرانه في الاقطار الشرقية فانه وان كان من المتأخرين بهذا الفن فمع ذلك رام احياء مبادي الاولين فنادى بحرية الافكار والاعمال وقد تأسف على هذه الحرية ازعمو تقليلها من الكنيسة الرومانية

فلولا مخافة ايراداته وسماجة عباراته لما تعرضنا لتقولاته وتأولاته افلا يخجل اهل الاوهام من افترائهم على الدين الحق وزعمهم انه مائل للجور والظلم فان قصدوا بالحرية ما يقصده بها رعاع الناس واهل الفساد قلنا لهم قد اصبتم فان المسيحية ترذل حرية حولتموها عن اصل

معناها لكن ان قصدتم بزعمكم ان الكنيسة الكاثوليكية المؤتمنة على كنز المسيحية الحقيقية تزدل الحرية الحقيقية بحسب اصلها ووضعها وصحة مفادها فما انتم الاَّ قوم ضالون على ان للكثلكة الفضل على الجنس البشري والبد البيضاء على الالفة البشرية على ما صرح به احد مشاهير ارباب القلم المتأخرين بقوله : ان الدين الكاثوليكي قد مدّن امماً اعترفت به وما تمدن الاَّ الحرية الحقيقية

فان كنت ايها القاري الحبيب لا تأنف من مطالعة اساطير ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم ولا تكن الوقوف على تلك النشرة الاسبوعية واستطعت ابقاء الالحاظ على تلك الاساطير المودوعة فيها رأيت عظم اهتمام الملفق المذكور بان يعلن للناس بان الكنيسة الكاثوليكية عدوة الحرية وانها قد اعتدت على الحرية بل قد غللتها بقيود الظلم وكفاك شاهداً من اقواله ما نبادر الى ذكر بعضه . افتح النشرة الاسبوعية عدد ١٥ سنة ١٨٧٢ فترى ذلك الملفق قد ذكر لك شعوباً تنوح بكاء من جور الكنيسة الكاثوليكية طالبة الانعتاق والحرية

قال : وكانت بلاد جرمانيا قد اخذت في التقدم في امر العلوم والصنائع وشاع العلم بين عامة الناس اكثر مما كان في الممالك الاخر .... وحفظوا انفسهم على نوع من الاستقلالية من جهة ايمانهم ولما ظهر لهم فساد رومية لم يلبثوا حتى طرحوا سلاسل عبوديتها ونيرها الحديدي عن رقابهم — اما بلاد سويسرا في ذلك الوقت فكان اهلها ذوو شدة وبأس يحبون الحرية الى الدرجة القصوى ولما قصد اساقفتها جواز الحد في سلطتهم قاوموهم اشد المقاومة وقاتلوا عن حريتهم اشد المقاتلة ونجحوا — اما بلاد هولندا فكانت اول بلاد اوربا بالتجارة وقوة

الحرية اهلها ذوو شدة وبأس وحرية لاسيما الجهات البحر الشمالي وفي تلك الجهات تمكن الاصلاح وغلب (انتهى)

هذا وقد ضربنا عن ذكر شعوب اخرى رق الملفق لحالها واثنى على عزمها بيد اننا نرى هذه الشعوب التي يثني الملفق على حالها قد سامت روحها حرية زعم هو ان بها سعادتها فلا غرو فان المانيا البائسة قد هامت كل الهيام لتخلع عنها ثوب حرية كاذبة البسها اياه اقوام سلبوا حريتها الحقيقية

فمن عبارة الملفق المسبوكة بقالب اوهامه ادخاله روح الاستقلال في الايمان الالهي فهذا تعليم لا يدركه لاهوتي ولا منطيقي لما فيه من التناقض البين على ان علماء اللاهوت والمنطق يدركون وجود الايمان الالهي في عقل ذي استقلال او امة فيها روح الاستقلال لكنهم لايدركون روح الاستقلال في الايمان

فهب ان العلماء ادركوا او لم يدركوا وهب ان المنطق وعلم اللاهوت رذلا اقوال الملفق المجبولة بطين التناقض فما الذي يمهد من ذلك افما انه قد القى مدادًا على قرطاس

فلنرجع الى كلامه عن عظماء الارض الذين اتحدوا مع علمائها ليأخذوا بيد الحرية المظلومة قال في العدد ٣٤: ان اشراف جرمانيا ساعدوا كثيرًا في امر الاصلاح واتحد كثيرون من افاضل ابناء جرمانيا اتحادًا قويًا مع اصحاب العلوم واجتهدوا في انقاذ بلادهم من النير الروماني ... ان اولريخ ثان هوتن الملقب ديموستنس الجرمانيين بسبب خطبه المملوة طعنًا في البابا كان بمنزلة حلقة موصلة الفرسان باسل العلم: ويمكن صاحب تاريخ الاصلاح ان يلحق بالمذكور

ايراسموس الذي ذكر فيما بين طلائع الاصلاح الموهوم

والابلغ ثم الابلغ والاجمل كل الجمال في هذا العدد نتيجة ابحاث بحث فيها الملتق فناض قلبه فقررها في اخر عدد ٤١ سنة ١٨٧٣ بتاريخ ١٤ ايلول وهاك عبارته : فالديانة الباباوية تعتبر ديانةً وسياسةً - من حيث هي مذهب ديني فهي مضحكة ومسخرة على العقل البشري ..... ومن حيث هي سياسة فانها فتنة وعدوة لكل حقوق الانسان وحريته (انتهى)

لله در الملتقين واعجب من هذر المهذارين فقد اطلعنا على اسطاريك وفهمنا تقاريرك فاننا ندعك تخوض وحول الاكاذيب وبحور الاضاليل فندعك وما تقذفهُ من الشتائم ونستشير التاريخ الصادق فاننا نتصفح صفحات تاريخ استند على حقيقة الاحوال وصحة الامور استنـــادًا لا يزعزعهُ هذر المهذارين ولا يمسهُ تلاعب المتلاعبين ولم نكن لنفتري على الناس ونطعن ونقدح بالاشخاص اذ من دأبنا البحث في نفس الامور وحقيقة الاحوال فنبحث في القول بمعزل عن القائل حتى اذا عارضنا الاصلاح وحاربنا الابروتستانية مدافعةً عن الحقائق الكاثوليكية لم نمس من يتمسكون بهذا المذهب فمعظم ما نبتغيهِ لهولاء اخوتنا ونلتمسه من لدن ابي الانوار ان ينظر اليهم بعين رحمته حتى اذا ما استناروا بنور تعاليم كنيسته المقدسة ارتدوا عن ضلالهم وقبلناهم قبلة السلام فياما احب ان تسكن الاخوة معًا

ولما كان من مقصدنا الرد على افتراء صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم لاق بنا ان نبين اولاً ما الذي كان يقصدهُ ويعلمهُ رب الاصلاح بلفظة الحرية وما هو معناها وما المقصود بها منهُ

الفصل الخامس عشر

في راي لوتيروس وتعليمه في حرية الانسان

قال احد الفلاسفة وهو روسو في كتابهِ في اهل الالفة والسلطان المدني : قد ولد الانسان حرًّا معتوقًا فمع ذلك هو مغلل بالقيود : فهذا قول دل على ان قائلهُ لم يبحث في عقل الانسان بل في اميال الانسان فلم يكن روسو مبدع هذا المبدا الفاسد بل قد ذهب هذا المذهب كثيرون ممن انضموا في سلك الفلاسفة والعلماء وكثيرًا ما رأينا اقوامًا قد زعزعوا اركان نظام الالفة وقلبوا عرش الملوك بمبادائهم بحرية كاذبة حددوها وعرفوها حسب اهوائهم ووفقًا لاغراضهم وكانت كلها اراء فاسدة لم يتخذها الناس مبداء ويجعلوها دستورًا للاعمال حتى ظهرت الابروتستانية اي الاصلاح الموهوم فجمعها جميعًا وجعلها تعليمًا بنى عليهِ بدعته وكانت اخص اساساتها

فقد غرس لوتيروس غرسة فساد التعليم في الحرية البشرية في كلامهِ عن الحرية المسيحية التي علم بموجبه ان المسيحي ليس تبعة انسان ولا يخضع لانسان ، علّم هذا فوقع موقع الاستحسان لدى جهلة اتباعهِ واخذوا يسيرون بموجبهِ ولما اقتحموا ميادين العدوان اخذ يردعهم ويشرح كلامهُ قائلاً انهُ لم يقصد بذلك شيئًا ضد السلطان المدني وسلطة ارباب الاحكام لكن انظاره ذهب سدًى اذ قد صغى القوم لسابق تعليمه وساروا بموجبهِ فهاجموا على السادات واعتدوا على ارباب الحقوق وفتكوا باموالهم وسلبوا اموالهم على ما ذكرنا سابقًا عن القلاقل التي جرت في المانيا (راجع الجزء الاول الفصل الرابع بتمامهِ)

غير ان لوثيروس لم يقف عند تعليمه عن الحرية بما تقدم ذكره بل قد علم عنها تعليمًا جنونيًا لا يدخل عقل انسان فلا يخل لاذهانك أفانه قال عن الاختيار المعتوق قولاً هزليًا فاه به على سبيل المزاح او في حال اهتدام غيظهِ وخروجهِ عن دائرة التعقل لا لعمري بل انما قصد فيهِ تعليمًا فانهُ قد علم عن الاختيار المعتوق جهارًا ونادى علنًا وقال وكرر المقال وكتب وكرر الكتابة وجادل وماحك وضاد وعارض وبين تبيانًا جليًا انهُ يعلم ويرشد ويعطي مبادي ودستورًا للعمل على ما يؤكد التاريخ الصادق

اما نحن فلا نظن بان الابروتستانت خصوصًا مافق تاريخ الاصلاح الموهوم يعتقدون اعتقاد امام مذهبهم ويعلمون تعليمهُ عن الاختيار المعتوق فحاشا لنا ان نفتري عليهم بمثل هذا الافتراء ولقائل ان يقول لنا ان كنتم لا توقنون بان الابروتستانت يذهبون مذهب امامهم بامر الاختيار المعتوق خصوصًا اذ لا يوافق الالفة البشرية ان يكونوا كذلك فلمَ تتكلمون عنهُ وتذكرونه في هذا البحث اجبناه قائلين انه قد حملنا على ذلك امران موجبان احدهما جهلنا حقيقة يقين ابروتستانت عصرنا هذا واعتقادهم لانهم لما كانوا لا يعتقدون بصورة ايمان معروفة بل امسى ايمانهم مبهمًا اعطوا سبيلاً للعاقل لان يحسن او يسيء الظن بهم فاذا التزمنا ان نبين اس تعاليم مذهبهم على ما علمه امام بدعتهم . والثاني اننا بايضاحنا حقيقة تعليم ايمة الابروتستانية عن الاختيار المعتوق نمحض افتراء الملفق على الكنيسة الكاثوليكية ونبين فساد مدحه الابروتستانية واثنائهِ عليها بقولهِ : انها انقذت الحرية البشرية واعتقتها من عبودية الكنيسة الكاثوليكية . فايضاحًا لذلك وبيانًا

لخطاء الملفق في كلا الامرين اي بافترائه على الكنيسة الكاثوليكية وإثنائه على الابروتستانية يقتضي الاستناد الى الفلسفة الصحيحة والتاريخ الصادق على ما في عزمنا لكننا قبل ان نشرع بذلك يليق بنا ان نذكر اولاً تعليم لوتيروس امام الاصلاح الموهوم بهذا الشان فنقول

قد علم لوتيروس عن الاختيار المعتوق قائلاً : ان الله تعالى قد لاشى في الانسان الحرية وان كل ما حدث للانسان واحدثه الانسان كان عن ارادة الله الازلية الثابتة غير المتغيرة القاطعة البانة وان الاختيار المعتوق هو اسم بدون مسمى وان الله تعالى هو الفاعل فينا الخير والشر وان كمال الايمان قد توقف على ان نؤمن ان الله هو عادل ولو جعلنا ابناء الهلاك وجوبًا بمجرد ارادته

فلا غرو ان من اطلع على تعليم لوتيروس المذكور قال عمن فاه بهِ انهُ مجنون او قد قالهُ وهو غائب عن دائرة الهدى سكرًا او غيظًا وهلم جرًا فاننا نجيب عن ذلك قائلين ان لوتيروس قد علَّم ذلك جهارًا واودعه في كتاب عنوانه : الاختيار المأسور اي الرقيق : فمجرد هذا العنوان دل على ما اودعه لوتيروس في هذا التاليف عن ان الاختيار مأسور باغلال العبودية . والابلغ من ذلك هو ان لوتيروس لم يكتفِ بايداع تعليمه بطون الاوراق بل قد جاهر بالتعليم المذكور ونادى بهِ على السطوح وناضل عنهُ واسنده الى المبادي اللاهوتية فاذا كان ذلك هل تبقى سبيل لعاقل لان يعذر امام الابروتستانية في التعليم المذكور هل توجد حجة اقوى ودليل اعظم يدلنا على حقيقة اقتناع المعلم بتعليمهِ من مناداته بهِ ومناضلته عنهُ واسناده اياه الى المبادي العلمية . فهذا ما فعله لوتيروس في تعليمهِ عن الاختيار المعتوق واننا

اذكر لك حادثة جرت له ليس نظير تينك الحادثتين اللتين جرتا له في بارجة الدب في مدينة بنا ومع بلدية اورلينده (راجع البشير ١١٧ و١١٨) بل مع احد علماء عصره ومشاهير زمانه واخص خلانه اعني به ارَسموس الذي كثيرًا ما قد اثنى ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم على فضله حتى نظمه في سلك طلائع المذهب المذكور

الفصل السادس عشر

في ما جرى بين لوتيروس وارَسموس من الجدال على حرية الانسان

انكر لوتيروس حرية الانسان فهاج لذلك اولوا الابصار ونفر من هذا فساد تعليمه اولوا الافكار ومع ان ارَسموس الذي وضعه ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم في سلك طلائع الابروتستانية كان يمقت الجدال ويكره المماحكة وهو من العلماء المشاهير لم يستطع سكوتًا ولم يحتمل مثل هذه البدعة التي بملاشاتها حرية الانسان تلاشي كل الانسان

فكان ارَسموس المذكور من علماء عصره وقد حاز الشهرة بين قومه وفي اوربا اجمع واذعن لاقواله اهل البراعة حتى ان لوتيروس نفسه قد حاول اكتسابه لارائه وتذلل له في كتاباته خوفًا من شهرته ومزيد نفوذه (راجع كتاباته الى ارَسموس فصل ٢) وكثيرًا ما كان يتباحث معه ويتخابر لكنه لما قلب المجن على بيعة الله المقدسة واخذ ينشر البدع تخلى ارَسموس ونفر من تعاليمه حتى انه اخذ يدحضها ويبين فسادها بعبارة منطيقية واساليب جدلية موزونة بقالب الانتقاد فعندها

هاج لوتيروس وجاش وهاج لهيجانه جماعته في ويقبرج وتوعدوا ارَسموس وتهددوه وكتب اليه لوتيروس ينهيه عن معارضة كنيسته واخذ يطعن به ويفتري عليه ويهزأ بشيخوخته قاذفًا الشتائم عليه حتى اهاجت هذه تصرفاته اهل الادب

قال ميلانكتون حبذا لو سكت لوتيروس ففي سكوته صون لعرضه واني كنت اومل بان تقدُّمهُ في السن يخمد فيه نيران الاحتلام فقد خاب منا الامل اذ نراه يزداد شراسة مع الايام فان كان تعالى لا يبسط ذراع المعونة فلا جرم كانت اقوال لوتيروس مشومة العواقب (كتابات ميلانكتون فصل ٤ كتابة ٣٨)

قال ارَسموس اني كنت اومل بان لوتيروس يصحو عقله ويهدأ بلباله بالزواج فكان الامل ضربًا من المحال اذ رايناه قد ازداد شراسة وما مباحثتنا الا مع وحش ضاري (كتابات ارَسموس فصل ١٨ كتابة ٣٢ و ٦١)

ومع هذا كله كان لوتيروس يدعي الدعة والانضاع وانهُ حمل وديع لا يسيء الظن بانسان (اعمال لوتيروس في الرد على ملك انكلترة فصل ٦)

فتاثر ارَسموس كل التاثير فعهد على نزول الميدان والقتال باسلحة الجدال وقد دار الكلام على حرية الانسان المنكورة من لوتيروس فاخذ ارَسموس اولًا باعتبارات تخذل المبدعين جميعًا ثم تكلم عن لوتيروس وعن تعليمه في الحرية واسند كلامه على ايات كتاب الله وفقًا لطلب خصمه قال :

لم يومن الناس باقوال رسل الله الا لكون هولاء الكرام قد اثبتوا

تعليمًا علموه بفعل المعجزات وصنع الايات وقد راينا في هذه الايام اناسًا ابتغوا ان يؤمن الناس بهم وبتعاليمهم لمجرد دعواهم بانهم من اولي العقول . فقد راينا رسل الله يشفون المرضى ويقيمون الموتى ويمنحون موهبة اللغات بوضع الايدي حتى امن الناس باقوالهم هذا ولم يكونوا يعلمون تعاليم جنونية اما الان فاننا لم نرَ احد الذين يعلمونا امورًا جنونية محضة قد اشفى ولو حمارًا اعرج وحبذا انهم مع عدم صنعهم الايات كانوا يستسيرون سيرة الادباء ويتصرفون تصرف العقلاء . واذا ما سالناهم ان يستسيروا سيرة نموذجية تليق بروح الديانة المسيحية اجابوك قائلين : ان الانسان يتبرر بالايمان لا بالاعمال . واذا ما سالتهم صنع الايات قالوا ان زمان المعجزات قد عبر وان الكتاب المقدس واضح جلي من ان يفتقر للايات . اه

ثم اخذ يبحث في نكران لوثيروس الاختيار المعتوق ويدحضه مستندًا الى الاية الالهية في حزقيل النبي (٣٣ : ١١) حيث قد ارسل الله تعالى نفسه نبيهُ المذكور ينذر شعبه قائلاً : فقل لهم حيٌّ انا يقول الرب الاله لن اريد موت المنافق بل ان يتوب المنافق من طريقهِ ويحيا . ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الردية ولماذا تموتون يا بيت اسرائيل : فقد رذل تعالى بهذه الاية الجليلة كل ترفعات يترفعها اقوام في الاختيار المعتوق وابان بان الانسان وان وقع في لجة الاثام يلتزم بالنهوض من سقطتهِ اذ ان ذلك منوط بهِ ومتوقف على ارادتهِ وانه تعالى لا يريد هلاكهُ بل خلاصه فيحيا برجوعه عن طريقهِ الردية . وبناء عليهِ اخذ ارَسيموس يبرهن قائلاً : فاذًا مع تدهورنا في لجة اثامنا ما برحت حريتنا غير منثلمة ولا مبسوسة فاذًا نحن ارباب اختيارنا والاَّ لما كنا

نهلك بذنبنا فاذًا للخاطي السلطان لان يصلح نفسه بمعونة الله والاّ لكان الذنب على الله اذا مات الخاطي غير تائب او اقلهُ فما كان يحق لله تعالى ان يوبخ الخاطي المأسور الحرية على عدم ارتداده اليهِ

فهل لعاقلٍ ان يحتج على هذا البرهان السديد والحجة الراهنة والسيف البتار فمع ذلك لم يرتدع اوتيروس ولم يخزَ بل ما برح مصرًا على غيهِ مويدًا مبداه الفاسد الذي هو اس بدعته فالتفت الى ارَسموس وقال : اني عليم بما يجعلك ان تنفر مشمأزًا فانك قد استندت الى النطق البشري والحال كثيرًا ما كان ذلك يؤثر بي حتى اني قنطت آئسًا فاستفدت من ذلك ان في اليأس فائدة اذ انه يقود الى النعمة . اه

ومع ان نتائج اليأس هائلة فقد رضي المبدع بها . فما كنا نا ما قد علم ضد حرية الانسان . اما ان طريقة سلكها تاييدًا لازعامهِ فقد عهدناها فيهِ فانهُ اخذ يشتم خصمه ويهينه وينعته بكافر وجاحدٍ وهلم جرًا من القذف المشين ولم يكتفِ بذلك بل اخذ يستعمل ايات الله كفرًا ونفاقًا وقال لخصمهِ اراك تعتمد على النطق ولا مدخل لهذا النطق في المسالة واخذ يحارب الاختيار المعتوق ويقول ان الانسان لا يستطيع الاّ ان يخطي وما قاله الرسول المصطفى في ان نصلح انفسنا ونخلع عنا الانسان العتيق حوّلهُ المبدع عن روح معناه واستعمله هزءًا وسخرية وقال عن رسل الله الكرام : انهم في نصهم هذه الايات كانوا يقولون لنا في انفسهم افعلوا ان استطعتم لكنكم لا تستطيعون

لعمري هل توصل اثيم الى مثل هذا الاثم الفظيع هازئًا بايات الله وبرسل الله . فعلى كلٍ قد تاكد جليًا ان لوثيروس قد علم ضد الاختيار

المعتوق واثبت ان لاحرية للانسان وان الاختيار البشري رقيق مأسور وقد تغالى بالقيود

الفصل السابع عشر

في ان الكنيسة الكاثوليكية انقذت الحرية وصانتها من اعتداء الابروتستانية

قد اتضح لدى الملاء بالبراهين المسنودة الى الادلة الراهنة والحجج الساطعة اراء الابروتستانية بالحرية البشرية وفساد تعليمها في الاختيار المعتوق وقد رامت اتحاف الجنس البشري بهذه البدعة الهادمة اركان الدين والالهة بل والملائكية سمة الانسان من الانسان فلا يخيل لذهن القاري بان ذلك التعليم المفسود قد علمه لوتيروس وحده وانفرد به برائهِ بل قد حذا حذوه سائر ايمة الابروتستانية حتى فاقوه ضلالاً بهذا الشان وهاك ما كتبه كلفينوس في كتابه ضد المجمع التريدنتيني قال: من قال ان الحرية التي نتمتع بها هي اسم بدون مسمى قد ضمن له مقاله المسيح نفسه واغسطينوس عينه: وقد كرر هذا التعليم في اكبر تصانيفه المدعو اينستيتوسيون جز ٢ فصل ٤٥ وهل تعجب اذا سمعت ميلانكتون ينادي صارخًا: ان خيانة يهوذا هي عمل الله نظير ارتداد بولس: فليعجب من يعجب اذ قد ساغ له العجب. اما نحن فاننا لقائلون ان ذلك تعليمًا علمه ميلانكتون وذكره المجمع التريدنتيني بحروفه ليحرمه فاذا كان ذلك افما انها لتحفة ثمينة ومنة جزيلة رام المذهب الابروتستاني ان يتحف الامم بها لكن اذا كنت قد رايت

ميلانكتون وغيره من ائمة الابروتستانية قد عدلوا فيما بعد عن غيرهم وشاهدت اوربا قد رذلت وشرائعها وخصالها وعلومها هذا الابداع فلا تنسب ذلك الى النطق وحده بل انما قد نتج ايضاً عن مفعول تعليم الكنيسة الكاثوليكية القويم الذي كان قد تاصل من قديم الايام في عقول الامم وقلوبها

فقد افترى ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم على البيعة الكاثوليكية ورام ان يلبسها ثوب العار الذي فصلته الابروتستانية على جسمها اي انه قد حاول القاء اللوم على الكنيسة المقدسة بكونها قد اسرت حرية الانسان بيدان هذا الاسر والعبودية كان ثمرة تعاليم مذهبه . اما عن تعليم عروسة ابن الله وخازنة كنوز ايات الله عامود الحق المتين فدونك ان تصغ اليه سمعاً واذا ما ادركت معانيه وفقهت بما فيه احمدن المولى الذي اقام بيعته المقدسة حارساً يحافظ عن وديعة الحق فلم تزعزعها ارياح الاميال البشرية وعواصف اضاليل الانفس الشقية بل قد قامت في وسط ذلك الهيجان وتلك العواصف هذه صخرة الايمان وسدت افواه المبدعين ورذلت تعاليم الملحدين ووطدت اركان الحق المبين فرسمت في القانون ٥ من جلسة مجمعها الترينتيني المقدس السادسة مدافعة عن حرية الانسان ضد مذهب الابروتستان فقالت : من قال ان حرية الانسان بعد سقطة ادم قد انطفأت او فقدت او انها اسم بدون مسمى فليكن محروماً : ثم ولزيادة تبيان تعليمها القويم رسمت في الفصل الخامس من الجلسة المذكورة مصرحة : من قال ان ليس في وسع الانسان ان يدبر نفسه . . . . بنوع ان تكون خيانة يهوذا عمل الله نظير ارتداد بولس فليكن محروماً : واخذت من ثم تسند تعليمها الى

ايات الله الشريفة على ما رأينا انفًا من ارسموس نفسه فكررت برهانها قائلةً : ان كانت اسفار الله تحثنا على الارتداد فلا غرو انها تذكرنا في الوقت نفسه بموهبة الحرية الممنوحة لنا من سخاء الايدي الالهية

اسمعت كلام البيعة المقدسة وفقهت تعليمها الصريح البات الجازم والقاطع متون الضلال بدون ان يتعرض لمس المضل . ارأيت كيف انها قد ادرجت في قوانينها قول الابداع فرذلته وضربت عن اسم المبدع فلم تمسهُ فحمت كلام لوتيروس وكلفينوس وميلانكتون بقوة ايات الكتاب ولم تمس شخص المبدعين المذكورين فما ذاك الاَّ لانها تقيم دائمًا على عظمتها وتتذكر دائمًا انها ام فلا تمس العقوقين في مسها كسفرهم

فقد ترتب على العاقل ان يحمد المولى على قيام صوت بيعته المقدسة مقام صوته الالهي محافظة على تعليمه الانسان واحسانه نحو الانسان اذ قد انقذت الكنيسة بهذه مراسيمها الالفة من الانحطاط وصدت الظلم عن ان يفتك بالحرية فصانت العقل من تشوش يعتريه اذا ما علم بان لا حرية لهُ يدبر بها ارادته . وان هام بيعة الله المقدسة الذي افترى عليهِ ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم زاعمًا بانه عدو الحرية قد نادى ضد تعليم المذهب المذكور فمنع هجوم الحالة البربرية على الافكار وانقذ الاداب والشرائع والالفة ونظامها معًا وان في مدافعة حبر الاحبار عن حرية الانسان صيانة مقام الانسان وفي محاماتهِ عن حقيقة الوديعة الالهية حيوة التمدن الحقيقي وصونه من اعتداء اهل الضلال وفساد الخصال

الفصل الثامن عشر

في ان الكنيسة المقدسة قد علمت دائمًا وحافظت ابدًا على حرية الانسان

لما كان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم قد افترى على البيعة الكاثوليكية المقدسة بقوله انها عدوة الانسان وحريته اقتضى ان نبين له فساد مقالهِ اذ ان بيعة الله المقدسة قد حافظت دائمًا حكمًا وفعلاً على حرية الانسان بكل الانحاء وجميع الوجوه . قد اخطاء العلامة كيزوت اذ انزل في تاريخ التمدن العام في اوربا ابناء البيعة المقدسة منزلة الرومانيين الاولين زاعمًا بان كلا الطرفين قد حُرِما الحرية الفردية واخذ يصف لنا المؤمن كمستغرق في بحر شركة الكنيسة وقد خصص لها ذاته تمامًا وكمالاً واستعد لان يضحي نفسه لاجلها حتى انهُ قد سعى وتصرف وفقًا لصوالحها بمعزل عن كل صالح لهُ خصوصي . هذا ما زعمهُ كيزوت وفي ذلك خطاء فظيع لكنهُ لما كان خطاء قد نشأ على سبيل العرض عن مصدر حق اقتضى بيان الكيفية بتمييز التعاليم والاعمال رفعًا للاشكال

فلا جرم ان المؤمنين كانوا شديدي التعلق بالكنيسة المقدسة حين انشائها ولقد طالما سمعناهم ينادون بكونهم اذا ما انفصلوا عن شركتها برحوا ان يكونوا تلامذة يسوع المسيح الحقيقيين ومن المؤكد العاري عن كل اشتباه انه وفقًا لما قاله كيزوت قد وجد في الكنيسة المسيحية تمسك خاص بشرائعها ورغبة شديدة بانتشار ملكوتها لكن لا سبيل للقول بان مصدر هذه الشعائر وينبوعها كان مجرد روح

الشركة بمعزل عن صالح الانسان الشخصي اي نعم كان المؤمن عضوًا للشركة لكنه قد اعتبر هذه الشركة وسيلة تمكنه من بلوغ سعادته الابدية وكانت لديه شبه سفينة احتمى داخلها في قصف عواصف بحر العالم وهيجان امواجه ليصل بالامن والسلام الى مينا الخلاص وانه في تاكده ان لاخلاص له خارجًا عن الكنيسة لم يقصد في ذلك تخصيصه لها بل تخصيصه بها لاجله . فكان الروماني القديم مستعدًا لان يضحي نفسه وصالحه لاجل وطنه اما المؤمن فيستشهد لاجل ايمانه وفي ذلك كل صالحه وكان الروماني يموت لاجل وطنه اما المؤمن فيموت لاجل الهه لا لاجل الكنيسة فهذا تمييز لابد منه في مثل هذه المسالة الدركة المختلفة العلايق حتى ان ادنى لبس فيها شانه القود الى اضاليل فظيعة

فلما كانت الحقيقة قد اتضحت وقد تبددت سبل الاوهام سطعت انوار تعاليم بيعة الله المقدسة عن حرية الانسان الشخصية وانها لحرية لقد طالما دافعت عنها وصانتها البيعة الكاثوليكية في المدن المسيحي

لابد من نظام الفة ينضم الانسان اليه لكن يقتضي عدم استغراق الفرد بجسم الشركة لئلا يحرم فعله الخصوصي حال كونه جزءها ففي انضمام المؤمن بسلك شركة الكنيسة وكونه عضوًا لها قد حميت فيه الحرية الفردية وامسى ربًا على جميع اعماله ومدبرًا قوى نفسه بدون انثلام حقه بهذه الشركة المقدسة التي من اخص شانها صيانة حرية افرادها . كيف لا وقد حافظت على تعليم الاله الحق ونطق هام هذه الشركة المقدسة بتلك الاية المرعدة فرائص سلطان عظماء الارض اذ قد وضعت له حدًا فلن يتجاوزه الاّ وقد داس طريق الاعداء والظلم . فاجاب بطرس والرسل وقالوا : ينبغي ان يطاع الله اكثر من الناس

(اعمال ٥ : ٢٩) . فهذه اية علوية صرحت بحرية الانسان الشخصية حتى اذا ما اعتدت عليه السلطة البشرية بامر حربة ضميره دافع عن هذه الحرية المعطاة له من الله خالقه والمحافظة عليها بيعته المقدسة خازنة اقواله

قال ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم عن الكنيسة الكاثوليكية . ومن حيث هي سياسة فانها فتنة وعدوة كل حقوق الانسان وحريته (نشرة اسبوعية في اخر عدد ٤١ سنة ١٨٧٣) . فيا من تدعي ان مذهبك الابروتستاني قد اعتق حرية الانسان قل لنا كيف يسوغ لك ان تدعي ذلك وقد اعددت فعل المؤمن المدافع عن حريته الشخصية من ظلم الظالمين عصياناً واحتسبت بيعة الله المقدسة عدوة حرية الانسان حال كونها تعلمه المدافعة عن حريته وتحافظ دائماً على حريته . فقد انزل الله ايته الشريفة في هذه الاقطار ونادى بها بطرس والرسل الكرام على رؤوس الملا وعلمتها ودافعت عنها بيعة الله المقدسة مدى الادهار صيانة لحرية الانسان واذا من بعد مرور نحو عشرين جيلاً قد نهض نبي جديد في هذه الاقطار واحتسب العمل بموجب هذه اية الله عصياناً وافترى على كنيسته المحافظة عن الحرية زاعماً انها تغلل الحرية بقيود الاستعباد . لله دره من مفسر تعليم كتاب الله وتفسير اقوال رسل الله

الفصل التاسع عشر
في حرية الضمير والكنيسة الكاثوليكية

قد علمت الكنيسة الكاثوليكية دائمًا وابدًا ومكنت في قلب الانسان وايدت حقيقة هي اخص الحقايق وهو ان للانسان فروضًا وجب عليه تتميمها ولو اقتحم المخاطر وداس القوات الجهنمية والبشرية معًا فان الانسان قد خُلق لغاية عظمى وان العمل نوالاً لهذه الغاية الجليلة هو فعل شخصي وجب على كل انسان مباشرته فلا يسد سده في ذلك انسان اخر اذ قد وقعت مسئوليته عليه وحده دون غيره من الانام. فلذا لم ترَ قط قبل ظهور المسيحية الاَّ ابناء الكنيسة الكاثوليكية وحدهم كبارًا وصغارًا نساء ورجالاً من كل مصاف ورتبة قد ناضلوا ودافعوا عن حرية ضميرهم ولم يفوهوا بما يمس مبادي ضميرهم فقد اقتحموا الاخطار وركبوا متون الاهوال وداسوا اشواك جميع المصاعب والمحن بغريب الشجاعة وعجيب البسالة ولم يتسلحوا بالحراب ويتقلدوا السيوف البتارة ويتحصنوا في الحصون المنيعة ويكمنوا في المواقع الحصينة ولا تحمسوا بصوت البوق والنفير ولا بعزف الموسيقى الحربية بل قاموا على قدم وساق امام الحكام وبحضرة المحاكم وداخل السجون مدافعين عن حرية ضميرهم وقد نشروا راية الثبات وشمروا على ساعد الهمة والنشاط واعربوا عن شعائر النفس الابية واخزوا قوات المقتدرين بسامي تعاليمهم وشهامة قلوبهم ثابتين على حرية ضميرهم

فمن عثر في هذه الايام على صحف الاخبار المتواردة الى هذه الاقطار

راى في هذا العصر والزمان ان قد اوقدت نيران الحرب على حرية الضمير الكاثوليكي فاسرت اساقفتهم وسجنت كهنتهم وتوعدت شعوبهم في اوربا واميركا حتى علمنا ان في البرازيل قد حكم على اسقف كاثوليكي بالسجن ومباشرة اعمال المسجونين ومع ذلك راينا الاسقف المشار اليه قد اقتفى اثار اراكنة الكنيسة في اوربا مدافعة عن حرية ضمير الكاثوليكي فيناضل اراكنة البيعة في هذا العصر عن حرية الضمير كما قد ناضل عنها في مرور الاجيال السابقة معترفوا الايمان وكما قد دافع عنها في هذه الاقطار الشرقية مصابيح الكنيسة وعواميدها القديسون غريغوريوس الكبير والذهبي الفم واثاناسيوس وباسيليوس وفي ذلك دليل واضح وحجة راهنة على ان حرية الضمير الكاثوليكي واحدة لا تتغير فدافع عنها اراكنة الكثلكة وعموم مؤمنيها

فقد اخطأ اذًا من توهم انه يرهبهم بالمواعيد ويرعبهم بالمخاوف اذ لا يدري بان حرية الضمير اذا ما ساعدتها النعمة الالهية لا تقوى عليها قوة المقتدرين هل زعم المغتصبون ان قوة الله قد انحطت عن ذي قبل فان الذي شدد قوى مختاريه في ازمنة سلفت ما زال يعضدهم ويقويهم الى منتهى الاجيال وانهم لا تكالهم على قدرته الضابطة الكل ونعمته وهي السلاح الذي لا ينثلم يدافعون عن حرية ضميرهم الى اخر قطرة من دمائهم . وانك اذا ما اشتد الاضطهاد وازداد الاغتصاب ترى منهم ما شاهدته هذه الاقطار الشرقية في عهد القوة الوثنية . ففي جنوبي ارض فلسطين بالقرب من بحر الموت بقعة عقيمة لا تعطي اثمارًا غير انها خصبة بالمعادن ففي اخر الجيل الثالث وقد اشتد اذ ذاك اضطهاد ديوكليتيانوس قيصر رأينا جماهير الاساقفة وكتائب الكهنة

وجماهل المؤمنين قد حكم عليهم بحفر تلك المعادن ليكفروا بحرية ضميرهم ولاجل ان يزيدهم المغتصب نكالاً امر بقلع احدى اعينهم وقطع قيود ارجلهم وبذلك يجبرهم على الاقامة داخل تلك الحفر العميقة . فترى ما الذي ناله المغتصبون وماذا حاز المظلومون فقد افادنا التاريخ ان اولئك جنود الدين الابطال قد قاسوا مر النكال محافظين على حرية ضميرهم الى ان قام قسطنطين الملك فاعتجب من تجلدهم واندهل لصبرهم فنهض لما راى اولئك الاساقفة قد جلسوا في المجمع النيقاوي وقبّل اعينهم التي احتملوا قلعها مدافعةً عن حرية ضميرهم . ولما كان شدة ذلك الاضطهاد قد آل لفخرهم ونالت بعده الكثلكة راحةً املنا نهاية اضطهاد هذا الزمان فلا تلبث بيعة الله ان تحوز نصرًا وينال ابناؤها فخرًا ومجدًا

الفصل العشرون

في مدافعة النواب الكاثوليك عن حرية الضمير في شورى بروسيا

عبثًا تحاول الاغراض المنحرفة والاميال المفسودة ومحبة الدنيا واموالها اطفاء نور الحق اي نعم ان هذه الاميال بعضًا او كلاً تحاكي غيومًا ترتفع في الافق فتحجب انوار الشمس عن اعيننا برهة لكنها لا تستطيع ان تلاشي شمس النهار ولا يخل لذهن انسان انها غيوم تحجب الشمس دائمًا فانك في ساعة لا تنتظرها ترى ملكة الافلاك قد سطعت فضمحلت غيومًا كنت تخالها دائمة فهكذا قل عن حقائق الدين الحق

واخصها حرية الضمير التي نحن في صددها فقد توهم اقوام ان انشغال اهل العصر بامر دنياهم واغراضهم السياسية وعدم التفاتهم الى امر الدين تطفي سراج الحق المبين فلم يكن الحق ليسكت عن سلب حقوقه بل قد ايقظ الضمائر فنهض جابرة الحق فدافعوا عن حقوق هذا الحق وكفانا شاهداً بأمر حرية الضمير ما يجرى في هذه الايام في نفس عاصمة ممالك المانيا حيثما توهم قوم ان سطوة السياسة وفلاح العلوم العالمية قد لاشت حرية الضمير ودفنتها في قبور النسيان فقد نهض نواب الامة الكاثوليكية في شورى بروسيا ودافعوا عن حق حرية الضمير الكاثوليكي مع تاكدهم حال ضعفهم وعظم قوة اخصامهم فضلاً عن كون عنصرهم قد امسى فريسة الاضطهاد قال احدهم وهو مسيو دي مالينكرودست نشرته الصحف الالمانية وهي الجرمانيا وغزتة سالسبورج وقد وجه خطابه نحو نواب الشورى : سادتي لا غرو ان امر الدراهم والاموال ما برحت دائماً حتى وفي هذه الايام تشغل الاذهان غير ان هذه وان كثر الاهتمام بها وعظم احتشادها ما برحت صوالح دونية لكونها مواد دونية وقد استخدمها البشر لصوالح دونية ففي هذه الشورى قد طُرحت مسائل اعظم واسمى وهي مسائل التعليم وحيوة الكنيسة الكاثوليكية خصوصاً حرية الضمير الكاثوليكي وقد نادى بها اراكنة بيعة الله المقدسة فان ناظر الاديان قد تكلم في خطابو في هذه الشورى عن اساقفتنا الكاثوليكيين بما لم نكن ننتظره لعمري ان كل من لم ينطفئ نور حرية الضمير في قلوبهم يشهدون علناً بكون اساقفتنا ابطالاً يدافعون عن حقوق الحرية فكيف لا ندعوهم جابرة وقد خاضوا ميادين المدافعة عن هذه الحقيقة الغراء في عصر قد امحت سمات الرجال

من قلوب رجاله . اه

وقال النائب دي ريشنسبرجر ان شعبنا الكاثوليكي قد اقتفى اثار اساقفته الكرام ومن توهم بان الاسقف الكاثوليكي يستطيع ان يجيز الاحكام المطروحة في هذه الشورى فلم يعلم هذا المتوهم ما هي الكنيسة الكاثوليكية ولا ما هو اسقف كاثوليكي . فان الاسقف الكاثوليكي راعٍ يبذل نفسه عن خرافهِ وليس باجير يفر هربًا متى رأى الذئب مقبلاً . هذا وترى ما الذي يفعله اساقفتنا الكاثوليكيون لعمري انهم انما قد عارضوا معارضة اصولية شرعية متى رأوا الدين والاداب تعارض ضروبًا من الاحكام ومما لاق بنا ان ننادي بهِ علنًا اذ لا يخلو نشره من جزيل الفائدة هو انهُ متى رأيت نور الايمان قد انطفأ من الضمائر ولم يهدِ خطواتها قام لهيب حريق الكومونيين وانارها ودبر خطواتها . اه

وقال مسيو فيندهورست : سمعنا ناظر الامور الدينية يلومنا واساقفتنا لكوننا نعتمد على هام الكنيسة المقدسة في رومية بامور ضمايرنا فليعلم الناظر المشار اليهِ انهُ انما قد لامنا لكوننا كاثوليكيين وليعلم ايضًا ان خطابًا خطبهُ وقد اطال فيهِ الكلام واكثر الاسهاب انما كان مداره على مسالة واقعة تحت الجدال فرام ان يبرهن صحة دعواه بنفس دعواه اذ انهُ في كلامهِ عن الاحكام الدينية اراد ان يقنعنا بها باسناد حجته اليها فقد سمع الكاثوليكي مذ ساعة انشاء الكنلكة نفسها مثل هذه الحجج قال اليهود في طلبهم رفع المسيح لاسمو السجود ان لنا شريعة وبموجب شريعتنا موتًا يموت . اه

قد فاه هولاء النواب الكرام في شورى الامة ودافعوا عن الحق علنًا وعن حرية الضمير جهارًا مع تاكدهم بان الاكثرية ضدهم وانها

تسحقهم بعددها وسطوتها ونفوذها غير ان ابن الايمان قد حامى عن حرية ضميره بملء الاحترام ولم يتجاوز حدود الاداب الانجيلية فدافع وبرهن مؤملاً دنو ساعة النصر بنعمة الله النصر

الفصل الحادي والعشرون
في حرية الافكار

قد تكلمنا عن حرية الضمير الكاثوليكي هات الآن نبحث في امر حرية الافكار وهي مسالة قد اشغلت افكار هذه الاعصار وقد خاضوا ميادينها وان هم الاّ تائهون في تيه الضلال فمنهم ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم فان دأبه الطعن بالكنيسة الكاثوليكية قائلاً عنها انها عدوة حرية الافكار ليس بامر الدين فقط بل بامور اخرى واخذ يتكلم عن الحرية المذكورة ولم يتضح من جميع ضروب تعبيراته ماهية هذه المسالة لكونه لقد طالما استعمل الفاظاً مبهمة وعبارات شابها اللبس فعاد كلامه في حرية الافكار كهذه الحرية في عقول اهل الضلال ولما كانت هذه من المسائل الجزيلة الاهمية اقتضى البحث فيها في فصل مخصوص وقد جاءت نسقاً ومحلاً بعد حرية الضمير ولما كان من شروط الجدال الصحيح بيان حدود القضية بينا قضيتنا هكذا: هل للانسان حرية الافتكار: فقصدنا بهذه الحرية استعمالها داخل ضمير الانسان ولم يعلم به احد سوى الله وحده ولم نتعرض الآن الى حرية نشر الافكار قلماً او شفاهاً

قلنا لمن يدعي حرية الافكار ان قصدت في ذلك ياصاح ان لا

يعارضك معارض في فعل حريتك داخل مقدس ضميرك اي لايشاركك فعلك هذا فعل اخر اجنبي فيوثق حريتك داخل مقدس ضميرك فتلك ليست بمسالة نبحث فيها ونختلف عليها اذ ان فعل حرية الانسان لا يجبره طبيعيًا فعل اجنبي بل انه فعل اختياري معتوق لم يتقيد بقيد طبيعي اصلاً انما بحثنا في انه الاتوجد شرائع يخضع لها الفكر في ابحاثه لئلا يتوه في فيافي الضلال وهل يباح للفكر ان يدوس محك الصواب ويسد اذنيه عن مشورة النطق وهل يباح للفكر ان لايلتفت الى ذلك المبداء الصحيح وهو ان موضوع البحث هي الحقيقة وهل يسوغ للانسان ان يتغاضى في بحثه عن المبادي الادبية ويطلق العنان لجواد افكاره فيخوض ايما ميادين كانت بدون التفات الى الحقيقة والى المبادي الصحيحة . فانه في كلامنا عن حرية الافتكار قصدنا حرية صوابية مضروبة على محك العقل الصائب ولم نلتفت الى ما يزعمه اقوام ان ليس لحرية الافتكار حدود تقف عندها ولا تتجاوزها كأن الطبيعة وخالق الطبيعة لم يضع حدودًا لهذه الحرية الطبيعية بل قد اطلق لها العنان فتجول حيث شاءت فليذهب اهل هذه المذاهب اية مذاهب شاؤا فليس للانسان حرية ان يدوس بها ميزان العقل والصواب ويتجاوز حدود المبادي الازلية وصالح الافراد والالفة وبناء عليه حصرت قضية حرية الافكار داخل حدود ولم تلبث قضية عامة ومبهمة يحار فيها الفهم ولا يدركها اولوا العقل

ولقائل ان يقول كيفما تأملنا مسالة حرية الافكار رأينا الكاثوليكي لاحرية له فعبثًا اذًا ايها الكاثوليكي تحدد وتعرّف قضية حرية الافتكار فنعم التحديد والتعريف لكنا رأيناك لاحرية لك لان تفتكر اي انك

قد عدمت حرية الافتكار فعلاً فنقول هل يسوغ لك بموجب مذهبك ان تشك باحدى عقائد دينك المحددة من كنيستك التي تحرم على الكاثوليكي حتى خفيف الشك بامر الدين فيما انها تعطي للابروتستاني الحرية المطلقة بان يشك في مذهبه فما قولك في ذلك

قلت لما كانت المسالة ذات اهمية وقد نزلت ميدان البحث فيها جاوبت على رغبة المعترض في كل ذلك وبينت له حقيقة حرية الافتكار بالرجل الكاثوليكي والابروتستاني في ما تعلق في بعض العقائد الدينية المحددة من الكنيسة وما زادني رغبة في ذلك علمي ان اهل العصر قد هاموا بهذه حرية الافتكار حتى داسوا كل ما قيدها فامست وباء سطى على عالم الدين والاداب بل على العلوم الراهنة بيد ان القوم قد توهموها عطرًا انتشر عرفه في الافاق فاخذوا يستنشقون ذكا رائحتها ولقد طالما رأينا الهواء الطيب قد حمل مواد الوباء فقتل مستنشقيه وهم يتلذذون بلذة طيبه

ان مسالة حرية الافتكار سائرة على قدم وساق في اقطار الكرة غير ان الاقطار الشرقية الكثيرة الحب في الامور الدينية لابد من ان يرضيها الاطلاع على الحقايق الكاثوليكية بشان هذه المسالة بازاء النائم الابروتستانية وعليه اقتضى البحث فيها تبديدًا للاوهام وحسمًا للجدال غير ان القول انه لا يباح للكاثوليكي ان يشك في حقائق مذهبه بيد انه يسوغ للابروتستاني الشك في تعاليم بدعته يلوح في اول وهلة من الغرائب لكن اذا ما امعن العاقل النظر وتبصر بحقيقة الامر انقشع عن اعينه البرقع واقتنع كل الاقتناع بصحة هذه الدعوى وهاك شرح الكيفية فلا غرو ان الكنيسة الكاثوليكية لدى ظهورك في العالم لم تبرهن

معك بامر الايمان بل انه حالما فتحت عينك الى الدنيا ورفعت لحاظك الى السماء الاطلس فتحت هذه الكنيسة امام اعينك سماء النعمة ولما صمت المرة الاولى مناديًا اباك في الارض علمك بان تنادي ابانا الذي في السماوات ولما تعلقت بثدي امك وتبسمت لك وبسمت لها دلتك على ام في السماء حاملة على ذراعيها طفلاً هو فاديك فناديتها قائلاً: السلام عليكِ يا امنا بل انها باعلانها لك مريم وولدها قد علمتك اخص اسرار الدين واهمها سر التجسد الالهي فعلى هذه الصورة نموك في الايمان كنموك في السن

فهذه الحقائق الدينية هذا الارث الشرعي الذي ورثته وعلمك اياه الكنيسة المقدسة منذ دقيقة وجودك في الحيوة لا يسوغ لك ان ترتاب بصحتها شرعًا بل ان الايمان والرجاء والتعاليم التي تعلمتها من الكنيسة قد ثبتت على حجج راهنة وادلة ثابتة ولا تحتاج لاطمئنان افكارك لان يحققها العقل ويصدق على صحتها (١) وفي المثل الاتي ما يوضح حقيقة المقال

---

(١) قلنا ان تعاليم الدين الحق التي تعلمها بيعة الله المقدسة لاولادها لا تفتقر الى التحقيق لكن لا يحال لعقل عاقل ان هذه الحقايق عارية من البرهان والادلة فان اله الحق هو الذي علمها وبشر بها وارسل رسله ليعلموها واعطاهم سلطانًا لفعل الايات تاييدًا لما يعلمون . فقال وهو اصدق القائلين : وهذه الايات تتبع المؤمنين انهم باسمي يخرجون الشياطين الخ فاذا كانت هذه التعاليم حقًا لمصدرها الحق وتاييدها بمعجزات اله الحق هذا وامر تعالى ان يؤمن كل انسان بتعاليم رسله الكرام لانه ارسلهم ويتكلمون باسمه ولا حرية للانسان لان يقبل او لا يقبل بهذه التعاليم بل يلتزم بان يؤمن بها كل انسان لانه تعالى قال : اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا للخليقة كلها : ولم يستثنِ انسانًا وقلنا ليس للانسان الحرية لان لا

لما كان الانسان قد خُلق لاجل حياتين احداهما حيوة الدنيا والثانية حيوة الاخرة قد اختص طبعًا بالفتين احداهما زمنية والثانية روحية وبكل من الالفتين نواميس خاصة بها وهذه النواميس يخضع بنو البشر اجمع ولكلتا الالفتين فروض وواجبات وجب عليهِ تفهمها فما هي واجبات الالفة الزمنية الملتزم الانسان بالقيام بها وكيف يتوصل الى معرفتها فان هذه الواجبات تعلنها لهُ شرائع الالفة التي اصبح هو من اعضائها وهذه الشرايع هو عين نظامها الشرعي وبدونها لا قيام للالفة وقد علتها السلطة وثبتتها وامرت بالخضوع لها فلا يجهلها انسان ولا يسوغ لانسان الاحتجاج عليها بل وجب عليهِ ان يذعن لاحكامها طوعًا ام كرهًا ولما كانت المسالة بين ابن الكثلكة وابن الابر وتستانية اخترنا مملكة كان اعضاء الفتها من كلتا الملتين وقلنا هب ان الفة كنت انت من اعضائها هي فرنسا او انكلترة او المانيا وهب انك قد جلست قاضيًا في احد مجالسها وقام لديك مجرم لتبحث في امرهِ وتحكم عليهِ لذنب ارتكبهُ وقد انهته عنهُ شرائع البلاد واخذ يدافع عن نفسهِ لدى ارباب المحكمة قائلاً : ان امرًا احضرتموني الى هذا الديوان لاجلهِ فلا انكره بل اقر معترفًا باني قد ارتكبته غير ان هذه الالفة التي تقاوم الدعوى عليَّ بسببه ما هي وما هي الشرائع التي تشجبوني بمخالفتها ومن هم المشترعون

يؤمن بها او يشك بصحتها انولهِ تعالى لهُ من امن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدان : فاذًا قد وعد تعالى بالخلاص لمن يؤمن وبالدينونة لمن لا يؤمن فاذًا اين حرية الايمان وعدمهُ . انما الايمان موجب بل وموجب على كل انسان لقولهِ المتقدم ذكره . اما قولهُ بان الايات تتبع المومنين فهو وعد خاص ليس لكل مؤمن لكن للكنيسة وما زال هذا الوعد يتحقق فيها مدى الايام والاجيال

الذين اشترعوا مثل هذه الشرائع ومن ابن لهم السلطان لذلك فاني الى الآن لم ابحث في صفات توجب عليَّ الاذعان لما يقررون ولم احقق النصوص الشرعية التي تستند اليها اراؤهم وتعليمهم فاذا اعطوني مهلة لابحث في كل ذلك ولاغرو فاني لا التزم بالرسوخ الى هذه الشرائع الاَّ بعد ان اكون بحثت ووقفت على صحة كل ما نقدم

فما قولك ياصاح بهذه الضرب من المدافعة افما يهزأ به الناس حتى اكبرهم جهلاً وما قولك بمن يدعي هذه الدعوى افلا تعده جاهلاً او هازئًا بشرائع الالفة فاي رجل فرنساوي او انكليزي او الماني يجهل وجوب الخضوع لشرائع بلاده لمجرد كونه من تبعتها وينكر سلطة هذه الشرائع والاسباب الموجبة عليه حفظها وسلطة اجرائها افما انك ايها القاضي تحكم على هذا المذنب بحسب ذنبه سجنًا او نفيًا او قتلاً وذلك بكل راحة ضمير ولم تلتفت الى تعليلاته فاذا كان ذلك فدونك الآن والمقابلة

الفصل الثاني والعشرون

في حال الكاثوليك نظرًا الى الايمان

هات الان نقابل حالة ابن الكنيسة الكاثوليكية الالفة الروحية مع ابن الالفة البشرية على ما في المثل المذكور انفًا . ليت شعري هل يستطيع رجل كاثوليكي ان يقول بانه لا يرى الكنيسة ولا يسمع صوتها وقد راها مذ ابصرت عيناه النور وسمع صوتها مذ سمعت اذناه دويًا في الارض كيف لا يرى الكنيسة وقد راى في مسقط راسه معبدًا يعبد

فيه العلي وسمع صوت الجرس يقرع الاذان داعيًا المؤمنين لقيام الصلوة كيف لا يرى الكنيسة وقد نشرت علاماتها المقدسة فما هذه الايقونة المصورة في بيت والديه وما هذه المسبحة التي يتلوها وما هذه الايقونة المعلقة فوق صدره وما هذا رسم الصليب الذي رسم به جبهته وما هذه الصلوة الربية التي يتلوها وما هذا السلام الملائكي الذي يترنم به وما هذه الاثار الدينية التي يكل اللسن عن حصرها اما هي عبارة عن الكنيسة التي يراها المؤمن يوميًا وليست هذه الكنيسة في مكان واحد في الارض بل قد انتشرت في كل صقع فلا يحجز الاوقيانوس المحيط مرسليها عن نشر راياتها في الاقطار الشاسعة ولم ترهبهم قوات العظماء ولم ترعبهم بربرية الاقوام واضطهاد المضطهدين بل ان ما يراه المؤمن من الكنيسة وعلاماتها واثارها في اعظم مراكز الكثلكة يراه ايضًا في كهوف الجبال وفي اقصى الاصقاع اي نعم قد حاول اقوام محو بعض اثار الكنيسة من القلوب حتى وفي هذه الاقطار الشرقية غير ان مسعاهم قد آل لنشر علامات الكنيسة وترسيخها في الاذهان اذ انه ما زرع زارع الزوان زوانًا الا وقد نهض العملة الروحيون لقلع ذلك الزوان فرام خدمة الابرونستانية الغاء رسم الصليب من الاقطار الشرقية وحرفوا ايات الله وقدموا للمؤمنين سلامًا ملائكيًا جديدًا لم تعلمه الكنيسة الكاثوليكية وازدهوا بكونه وفقًا للغات الكتاب الاصلية لكن ترى ما كانت ثمرة مساعيهم فانها ثمرة اجتنتها الكثلكة اذ قد اتضح ضلالهم فازداد المؤمن تمسكًا بالدين وبعلامة الدين

يا ترى الا يسمع الكاثوليكي صوت الكنيسة كيف يستطيع ان لا يسمع هذا الصوت الشجي وقد دوت الافاق باصوات المبشرين افما قد

سمع امام الذين يبشر وينذر ويعظ ويرشد ويوبخ ويوبخ ويهذب ويوبخ لعمري ان صوت الكنيسة وتعليمها واراءها ولغتها قد استغرقت افكار البشر حتى لاق بنا القول ان الكنيسة انفسهم الذين يحار بونها اذا ما افتكروا او صنفوا قد افتكروا رغمًا عن انوفهم بها واستعملوا لغس لغتها فكيف لا يسمع ابن الايمان صوت الكنيسة وقد سمع صوتها ينادي علنًا برذل الاضاليل وحرم الكفرة والمبدعين . لمَ هذه الشيع منفصلة عنها وقد انشقت عن حضنها وقامت كل منها بذاتها انما الان صوت الكنيسة قد نادى بفصلها ومنجل الحق قد كبست الاغصان اليابسة من كرمة الرب . فاذا كان ذلك هل يسوغ لكاثوليكي ان يقول انه لم يرَ الكنيسة ولم يسمع صوتها وقد سمعه من ليس بكاثوليكي بل الوثني ايضًا وان انزوى في اقصى زوايا الارض هذا وان الكنيسة نظير الالفة البشرية لها شرائع وقوانين فتعاقب من يخالف اوامرها وتؤدب من لا يسير بحسب نظامها

ولما كانت الكنيسة تقدم لابن الكنيسة تعليم الحق الذي علمه اله الحق ورسل الله الحق وقد ايدوه بالمعجزات والايات وكان هذا التعليم هو هو نفسه الذي علمه الانبياء والمسيح ورسله الكرام اذ ليست الكنيسة في الارض على ما قاله القديس اثناسيوس الجليل الاَّ صلة سر المجسد على الارض حتى منتهى الاجيال فكيف يسوغ للمؤمن ان يرتاب بتعليمها او كيف انها تسوغ له ذلك . لعمرك الله قل لنا ما المقصود من البحث انما معرفة الحق هي المقصودة فان كان الحق قد اتضح وهو من الله وعن كلام الله فلمَ يطلب المؤمن الحق ولمَ يشك به وهل له ان يشك به فبناء عليه قد اصابت بيعة الله المقدسة بتعريها الشك بالايمان

على ابناء الايمان . اما على من ليسوا بابناء الايمان فلا تمنع الكنيسة البحث في تعاليمها بل انها توجبهُ عليهم لانهم ابناؤها حكمًا وان كانوا خارجًا عنها فعلاً وهل تخشى بيعة الله من ان يبحث اهل البيت في تعاليمها لا لعمري فان الحق لا يخاف بحثًا وتفتيشًا بل كلما بحث بهِ كلما سطعت انواره وهذا ما تفعلهُ هي نفسها نحو من كان خارجًا عنها فانها تبرهن لهُ عن صحة تعاليمها وتامر بهذا البحث لكن بشرط ان يكون اصوليًا ويوزن بميزان الوحي والنطق لكنها تنفي بل تحرم على ابنائها بحثًا لا يوزن بهذا ميزان بيت المقدس وهل يوجد من لا يصدق على رأيها هذا الصائب كيف ينكر عليها العاقل ذلك وانما كان البحث غايتهُ الحق ولا توصل الى الحق الاَّ بالنطق وبالاذعان الى تعليم الله النطق

الفصل الثالث والعشرون

في حال الابروتستاني نظرًا الى الايمان

قد تقرر ان قد اصابت الكنيسة بخروجها الشك بالايمان على ابنائها. هات الآن نثبت اصابة تعليمها باباحتها للابروتستاني ان يشك بمذهبه بل بحثها اياه على هذا الشك وان يبحث في هذا المذهب ولا تعجب من هذا ياصاح فانه وان اختلفت عبارتها فقد اتفقت غايتها فان الابروتستاني هو حكمًا ابن كنيسة المسيح بالمعمودية وليست هذه الكنيسة الاَّ واحدة وهي الجامعة الرسولية فكل من اعتمد بالماء والروح هو ابنها ولو ملكيًا ولو غازيًا وقد رفع عقبه عليها وقلب المجن وحاربها وازدهى بقوته وصولته فلذا جدت هذه الامر الجزيلة الحب برد هذا ابنها الشاطر

واذا تبعت هذه الغفلة الضالة فايضاحًا للمقال دونك ومقابلة الابروتستاني بالمثل المقدم ذكره انفًا في المذنب الممثل امام المحكمة المدنية . فلا غرو ان الابروتستاني اذا ما حاكمته الكنيسة على ضلاله وونبته على جهله تسلح بدعاوي متعددة وحجج واهية واستل من جعبة تلفيقاته نبل الاحتجاج واخذ يدافع عن غيه ضد صحة تعاليم الله المؤتمنة عليها الكنيسة المقدسة عامود الحق لكن ترى ما الفائدة من دعاويه الفارغة واحتجاجاته الباطلة وكيف يسعه الاحتجاج على امينة اقوال الله . فمن هو هذا الابروتستاني فهو في الاصل ابن الكنيسة الكاثوليكية التي ان كان لم يعش هو داخلها فقد عاش فيها اجداده وكثيرًا ما اسمعته صوتها ونادت على فساد مذهب انحاز اليه وكثيرًا ما قدمت له ابناءها مثالاً يقتدي بهم ايمانًا واعمالاً وبذلك حملته على الشك في مذهبه والبحث في الدين الحق علّه يرجع من سواء الطريق وكفاها لذلك برهانًا ان نقول له : ان كانت سلطة في الارض تدعي حق السلطة الماخوذة عن اله كل سلطة فهي انا الكنيسة الكاثوليكية المقدسة التي ما برحت سلطتي قائمة على عامود الثبات مذ اقامني الله في الارض وها ان كل سلطة زمنية وروحية قد تزعزعت اركانها الاّ سلطتي فاني مبنية على الصخرة الصلدة التي لا تقوى ابواب الجحيم عليها واعلم يا ايها الابن الشاطر ان كل بدعة ابروتستانية وغير ابروتستانية هي غصن يابس قطع مني ولا تنخدع ببعض تعاليم اخذتها عني اذ من عادة الالحاد التستر بثوب الحق واعلم ان كل دين في الارض قد اخذ بعض حقايقي ومزجها مبتدعوه بآرائهم البشرية وجعلوه دينًا اوجبوا على الناس اتباعه بيد ان الدين الحق هو من الله وليس هو صنعة بشر . فبناء عليه

سربنا في خلال الاجيال الماضية حتى ظهور فادي البشر واستقرئ كل بدعة على حدتها فترى لها مبدأ ويومًا انفصلت فيه عني وان ابروتستانيتك قريبة عهد هذا الانفصال فما من بدعة مسيحية انفصلت عني واستقلت في ذاتها الاَّ وقد كانت يومًا من ابنائي وغصنًا من جفنتي اليانعة الى ان قطعت . وان الذين ابتدعوا كلاًّ من هذه البدع رجال ينبئك التاريخ عنهم فردًا فردًا وان مقاصدهم بالانفصال معروفة لدى الجميع وانها لمقاصد مرذولة من عين ذاتها حتى ان المبتدعين انفسهم قد رذلوها . اما سمعت لوثيروس وكلفينوس وغيرهما قد لعنوا انفسهم لاضاليل علموها وعاشوا وماتوا ودود الضمير ينخسهم على سوء مشروعهم وان كنت على ريب في ذلك فدونك وان تراجع تاليفهم اما المقاصد التي قصدوها بالعصيان عليَّ والتمرد على سلطتي فقد نقلها الوضيع والرفيع وحوتها بطون الاوراق . اما بلغك ما قاله ارازموس احد طلائع الابروتستانية وقد هام بذكر اسمه ملفق تاريخ الابروتستانية في هذه الاقطار الشرقية . هل فاتك ما ذكر عن الاسباب التي حملت ملك انكلترة على خلع نيري الاقدس وتطويحه جزيرة القديسين في وهدة الضلال . فها قد اتضح لديك يا ابني الشاطر ضلال اقوام وبدعة اضلتك عن حضني فشردت في تيه الاضاليل ولك البحث يا ابني في فساد تعاليم اهل الضلال وصحة تعليمي فابحث عن اصلهم وفصلهم وغايتهم ومقاصدهم وطرقهم المعوجة واجحدها واكفر بها وارجع الى حضني انا امك عامود الحق التي ما برحت مذ انشأني فاديه البشر على ما علمني وما برحت اعلم تعاليمه على ما اودعنيها وما برحت في مدى الاجيال انشر بها وادافع عنها واقاسي مر الاخطار

لشبوتي عليها

فاذا كان ذلك لا يصدق العاقل على راي بيعة الله المقدسة بوجوبها الشك على الابروتستاني في مذهبه والبحث في تعليم الحق ليرجع فيدخل الى حضن بيعة الله الحق لانها ام تدعو بنيها الى حضنها وليست بخالة كالابروتستانية وغيرها من البدع تبعدهم من بيت ابيهم السماوي وتدهورهم في وهاد الضلال تمردًا وعصيانًا

الفصل الرابع والعشرون

في الانسان الكاثوليكي المرتاب في دينه

كثيرًا ما ترى اقوامًا بين المسيحيين يعيشون حيارى بامر دينهم فانهم في حضن الكنيسة الكاثوليكية ومن ابنائها غير انهم لا يمارسون امر دينهم ولا يخازون الى الابروتستانية ولا الى بدعة اخرى بل قد اعتمدوا على بعض صفات ادبية سكتوا الناس بها فقيل عنهم انهم من اهل الاداب اي نعم انهم لا يباشرون الامور الدينية غير انهم ليسوا من الاشرار وقالوا عن انفسهم انه يشق عليهم انهم لا يؤمنون لكنهم لا يستطيعون ان يؤمنوا ولقائل ان يقول : لعمري افلا يليق انارة هولاء الاقوام وان يسعى قهارمة الدين بتعليمهم وارشادهم وان يبحثوا معهم علّهم يخرجونهم من وهدة الشك بل قد وجب على قهارمة الدين ان يساعدوهم على الاهتداء فان القوم من اهل المعارف والعلوم وقد صرفوا الاوقات بالبحث بامر الدين لكن كانت ابحاثهم عقيمة غير ان اعمالهم غير

ملومة فتراهم يحسنون الى الفقير ويجانبون القبائح الخ

قلنا لمن رغب في ارتداد هذا النوع من المسيحيين اننا لراغبون في ما انت راغب لكن طريقة توهمنها صوابية قد عريت من كل فائدة وان هذا مقالنا قد بني على الامتحان وان مثل هولاء القوم قد ظهروا في ايام فادي البشر نفسه فعلمنا كيف نعالج شكهم بامر الدين . اما عن الامتحان فكفاك ما قاله العلامة بوصويت الجليل في جداله مع كلودبوس احد خدمة الابروتستانت قال : لقد ضل من توهم وجوب البحث قبل الايمان فمن حظ من ولدوا في حضن البيعة الكاثوليكية المقدسة هو ان الله تعالى قد اعطاها سلطة فيؤمن اولاً ابناؤها بما تعلمهم فسبق ايمانهم البحث بل قد اخرج الايمان هذا البحث : وليس العلامة المذكور اول من قد علم هذا التعليم بل قد اخذه عن معلميه الكرام الذين استنار بانوارهم فمنهم العلامة ترتوليانوس واغستينوس ذلك الجليل القائل : ان لم تؤمنوا فلم تدركوا وتفهموا : فقد علق هذا العلامة فهم الاسرار الالهية وادراك الحقايق الدينية على الايمان بها اولاً

ولا تعجب من تعليم هولاء عواميد بيعة الله المقدسة فقد سبق المعلم الالهي وعلمنا ذلك سر بنا في خلال الاجيال الى عهد مخلص البشر واسمعه يعلم سكان كفرناحوم بان جسده ماكل حق ودمه مشرب حق (يوحنا ٦) وان هذا لعمري من اخص الاسرار الالهية واصح سمعاً لتراطن القوم وتدمرهم وتأمل المعلم الالهي المنادي بهذه الحقيقة الجليلة كيف تصرف نحوهم ليت شعري هل اخذ يشرح لهم ويبين وهل جادل معهم وماحك لا لعمري بل انه لما علم ان تلاميذه انفسهم قد خامرهم الشك في تعليمه

وقالوا انها كلمة صعبة لا يطاق اسماعها التفت اليهم وقال لعلكم انتم ايضاً تريدون المضي فعندها اجابه سمعان الصفا اصالةً ونيابةً ابن نذهب يارب وكلام الحيوة الدائمة معك فقد امنا وعلمنا انك انت المسيح ابن الله . ارأيت كيف المسيح لاسمهِ السجود قد طلب من القوم الايمان بدون جدال حتى قال بطرس قد امنا ثم قال علمنا (فيه) فاذاً كان الايمان في معرفة الاسرار الدينية مقدماً على العلم الذي لا يتوصل الانسان اليهِ الاَّ بالايمان على ما قاله اغسطينوس الجليل ان لم تؤمنوا فلم تفهموا

فاذا كان ذلك لا تطلب ياصاح المحال فان اهل حرية الافكار المرتابين بامر الدين قد ترتب عليهم الاذعان لقول الله والايمان بتعاليم الله فان امنوا ادركوا اسرار اقوال الله وان لم يؤمنوا فانهم لا يزالون فريسة الشك والارتياب ولا تجديهم ابحاثهم شيئاً وقد افادنا المخلص لاسمهِ السجود عن علة عقامة ابحاثهم بقولهِ انهم يطلبون المجد من بعضهم ولا يطلبون مجد الله فلذا كانت ابحاثهم فارغة (يوحنا ٥ : ٤٤) لكنهم لو طلبوا مجد الله لامجد انفسهم وامنوا باقوال الله لاستناروا بتعاليم الله لانه جلت اسماؤه قد وعد من عمل مرضاة ابيهِ وامن بهِ واقبل اليهِ بانه يعرف تعليمه الحق . فقد علق هذه معرفة الحق على الاذعان اولاً لمرضاة ابيهِ السماوي وهي ان يؤمنوا اولاً بهِ ثم يعرفوا التعليم فقال من احب ان يعمل مرضاة ابي السماوي هو يعرف التعليم (يوحنا ٧ : ١٨) اما مرضاة الاب السماوي فهي ان من يرى الابن يؤمن بهِ فتجب لهُ الحيوة الموَّبدة (فيهِ) فاذاً قد أُعطيت معرفة تعليم الله للانسان بشرط الاذعان اولاً لاقوال الايمان بتعليم الله

فان لبث المرتاب مصرًا على غيه وتاه في بحر جداله طالبًا الاهتداء الى الايمان بدون الايمان فقد ذهبت مساعيه سدىً وعن مثل هولاء انبأنا الرسول الالهي قائلاً : انهم يتعلمون في كل حين ولا يدركون اصلاً علم الحق (تيموتاوس ثانية ٣ : ٦) هذا والحيوة قصيرة الايام والموت يفاجيئنا في ساعة لا نعلمها وقد تعين من قبل فادينا ان نكون فيها مستعدين قال كونوا مستعدين ولتكن مصابيحكم موقودة والاّ كان حفلكم مع العذارى الجاهلات فالام يبحث المرتاب في دينه والام يشك باقوال الله هل تُعطى له حيوة اخرى فليؤمن فيتعلم وليكن مستعدًا فيصادف حظ العذارى الحكيمات

وان ضرورة الايمان وفوائد الايمان حقيقة لا يدركها الاّ بنعمة الله خازنة اقوال الله فانها لما هاجت عواصف الابر وتستانية على الايمان نهضت محاماةً عن الحق وصرحت بضرورة الايمان وقد دعمته بلسان مجمعها التريدنتيني المقدس ينبوع واصل كل تبرير يثمر الخلاص : فيا ما اجمل هذا التعديد لعمري هل تحيا الشجرة اذا ما قطع اصلها وهل تثمر اذا ما يبست غرسها وان هذه الكنيسة لا تيأس من خلاص ابنائها الصادقي الايمان ما داموا في نعمة الايمان ولا تيأس من رحمة باريها نحو المذنبين ما داموا متمسكين في حبال الدين . افا سمعت قهرمانها كيف يتوسل لله عند راس المسيحي المذنب على الموت العتيد ان يمتثل امام ديانه الرهيب فان الكنيسة لا تيأس من انه تعالى يرق لحال المذنب وان كثرت ذنوبه عددًا وتعاظمت قباحةً فانه تعالى يرده اليه بمعونة نعمته بل قد اعترفت نحوه تعالى قائلةً عن هذا الابن المذنب المدنف على الموت اي نعم يا سيداه قد اذنب لكنه لم ينكر الايمان . هذا واهل الشك

نائمون في فيافي ضلالهم ومشغلون بباطل اتجاهم وقد تركوا دفة الخلاص الوحيدة التي هي الايمان فمن امن واعتمد قد خلص ومن لا يؤمن يدان : فهذا هذا فليتأمل المتأملون

الفصل الخامس والعشرون

في مساعي النشرة الاسبوعية لتسويد وجه الكنيسة الكاثوليكية

من لا يفهقه ضحكاً لدى وقوفه على قطع تنشرها النشرة الاسبوعية البروتستانية في بيروت وقد زعمت انها تحارب بها الكنيسة الكاثوليكية فمن دأب هذه النشرة ان تضرب عن الجدال اذا ما بني على صحيح البرهان ومتى طاردها الخصم في ميادين الاصول الوت العنان ورجعت القهقرى فقد نازلناها في ميادين الكتاب الشريف وحقل العقائد الدينية فاعلن ضعفها واتضح عجزها وهزأ بها الرفيع والوضيع غير انها لاجل ان تبرد خجلها وتستر قصرها اعتمدت على ما من عادة القصيري الباع خصوصاً من الخدمة الابروتستانت ان يعتمدوا عليه وهو التسرع في حماة الاوخام وقد سموه جدالاً وبرهاناً قاطعاً ضد الكنيسة الكاثوليكية الصحيحة التعليم حقايق واداباً واخرجوا من جعبتهم سهاماً جديدة وهي اعلان سقطات الضعف البشري بانغلابه من هجوم الاميال ووثوب الشهوات

قد قلنا لك يا هذا ان كنيسة المسيح معصومة بامر التعليم حقايق واداباً ولم نقل ان ابناءها معصومون من ارتكاب الخطية والاثم فهي

الخازنة الامينة لاقوال معلمها الالهي تعلم جيدًا ان هذا المعلم الجليل لم يعدها بالعصمة من ارتكاب الخطايا بل قد سبق وانباها بوجود الخطاة في حضنها وعبّر عن ذلك صريحًا اذ سمى الاثمة زوانًا في حقل بيعته واسماكًا اجنبية دخلت في شبكت اصطياده النفوس وجداء تفرزهم ملائكته من خرافه في الموقف العظيم وهو الذي قد سبق وقال لا بد من الشكوك بل ان هذه الشكوك قد وجدت في نفس مدرسته الالهية واعتلنت باحد الاثنى عشر وهو يهوذا الاسخريوطي

فاذا كان ذلك فما هذه الاوخام التي يتبرغ بها منشيء البشرة وقد توهمها سهامًا يرشق بها بيعة الله المقدسة فاننا نحن معاشر الكاثوليك نعلم ونسلّم ان الله تعالى قد وعد هذه كنيسته ورأسها المنظور بقداسة التعليم لا بقداسة العمل ونعلم اننا اذا ما سرنا بموجب تعليمها كنا قديسين واذا خالفناه امسينا اثمة

فلو شئنا التماثل بك جدالاً لكنا رددنا هذه سهامك عليك وطعنا لك بها كل الطعن اذ انها سلاح بتار نضربك به في موضع القتل فان كنت على ريب في ذلك فهاك ايضاح الامر

قد زعم مبتدعوا بدعتك الابروتستانية اصلاح بيعة الله وقد توقف الاصلاح الصحيح على تصحيح التعليم والاداب قل لنا يا صاح ما هي اداب ايمة بدعتك . راجعن تاريخ حياتهم وتآليفهم وراجعنّ ما ارتآهُ علماء ابروتستانيتك المشاهير بسيرة ايمتها واعفنا من تكرير ذكر سيرتهم القبيحة فترك اذا ما رمنا ان نذكر سيرة لوتيروس وكلفينوس وزوينكليوس واوليمبيادوس وغيرهم ما الذي يظهر للوجود افما تناسف الاذان من استماع ذكر قبائحهم وفواحشهم وهم مع ذلك يدعون

اصلاح الدين واذا ما رام المسيحيون الاستنارة بموجب تعليم ايمانك افما امسى المسيحيون دون البشر ودون السمة البشرية كفاك ان تعي في اذهانك تعليم لوتيروس عن حرية الانسان لعمري لو سار الناس بموجب هذا المبدأ هل لبث الانسان انسانًا فدع يا صاح ذكر اداب اپروتستانيتك وتعاليمها واعلم انه لو لم يستسر الابروتستانت بموجب نور العقل وتصنهم اثار الكثلكة التي تخللت مذهبهم لانحت من الابروتستانت السمة المسيحية بل البشرية ايضًا ومع هذا كله ومع حسن معرفتك به نراك لما عجزت عن محاربتنا اخذت تخرج من جعبتك سهام الاوخام زاعمًا قتالنا بها افما يخطر لاذهانك انه اذا ما وقف عاقل على هذا طعنك حكم عليك باحد الامرين اما انك ضعيف ولما لم تجد سلاحًا تطعن به خصمك اصوليًا انحزت الى الاوخام وقد توهمت انك توسخ عرضه بها واما انك قد احببت هذه الاوخام وبما صغرت نفسك لمضايقة ضايقك بها خصمك ارتحت الى التمرغ بها وقد قال من رام الانتقاد على هذه طرق التي تعتمد عليها دعوه يعلل نفسه بها فان من احب شيئًا اكثر ذكره

لما كان داب النشرة الاسبوعية الطعن لا التنوير كما ندعي باية وضعتها في جبينها ذكرت بتاريخ ١٦ الجاري قتل احد المرسلين الانجيليين ونقول انه مات شهيدًا في اقطار الميكسيك وقد نسبت هذا استشهاده الى دسائس الاكليروس الكاثوليكي وايدت هذا تلفيقها بتلفيقها اخر وهو ان الهنود في ١٨٤٧ قتلوا احد الانجيليين وزوجته وزعمت النشرة ان قتلها كان بدسائس اليسوعيين وعن هذه الازعام نتكلم في الفصل الاتي انشا الله تعالى

هذا وقد ختمت النشرة الاسبوعية عددها بالتاريخ المذكور بقطعة عنوانها : نشاط . فقالت لو كانت الطغمة اليسوعية تقتصر في اعدادها الوسائط لتنفيذ دسايسها الخبيثة على الجد والسعي لهان الامر ولكن حبها لامتلاك الارزاق يكاد يحاكي سعيها من امتلاك عقول البشر وقهرها لسلطتهم (اه) ان ظني بالناس كظني بنفسي فقاس اصحاب النشرة قياس نفسي فحكموا على اليسوعيين كحكمهم على ذواتهم فقد علم كلّ في بيروت اصل كلٍ من خدمة الابروتستانت هنا لاسيما صاحب النشرة الاسبوعية وفضلهم وما هي بداية امرهم وما هي حالتهم الحالية فلم نرَ لليسوعيين عربيات تجرها الخيول الجياد ولا ملابس الغوى والامتعة الغالية الاثمان من اثاث وحليّ ولا المصاريف الزائدة ولا العلائف الباهظة ولا اجورًا يقبضونها نقودًا لكن رأينا كل هذه في المرسلين الانجيليين في هذه الاقطار الشرقية ولنا حجج كثيرة تبين احتشاد هولاء الانجيليين للاموال واحتيالهم باكتسابه وقد انشحنت الكتب بكتاباتهم الرسمية المبعوثة منهم من هذه الاقطار الى مراكزهم بامركا وشهدت عليهم شهادة رهنوا بها قلمهم وفي الاتي نذكر عينية من ذلك تبين لاصحاب النشرة الاسبوعية كوننا عليمين بحالهم وان ما راموا القاءه على غيرهم انما هو فيهم

الفصل السادس والعشرون

في المعنى المتقدم ذكره

راينا النشرة الاسبوعية الابروتستانية تعظم حادثة جرت في اقطار الميكسيك وهو ان احد المرسلين الانجيليين دخل بين كاثوليكي تلك الاقطار واخذ بحسب عادة خدمة الابروتستانت يحاول اخداع الشعب ويقدح بمذهبهم وطقوسهم وعوائدهم على ما نراه من ارباب النشرة الاسبوعية انفسهم فاغتاظ الشعب من افترا المفتري فهاج قوم عليه وقتلوه فوضعه منشي النشرة الاسبوعية في سلك الشهداء والقى ذنب قتله على الكنيسة الكاثوليكية وعلى اليسوعيين اما نحن فاننا ناسف على قتل المرسل الابروتستاني المذكور ونوجب الذنب على قاتليه وقد استوجبوا العقاب شرعًا كما وان بيعة الله المقدسة تشجب القاتل وتنهي عن القتل وتحرم سفك الدما حتى ذهب تحريمها مثلاً في الافاق وتناقلته الاجيال حيث يقال ان الكنيسة تمقت الدما وتكره القتل فاذا كان ذلك فليقل لنا منشي النشرة الاسبوعية كيف يسوغ له ان يلقي ذنب القاتل على الكنيسة هل تواخذ الكنيسة باعمال تنهي عنها وتحرمها ام هل هي ضامنة اميال البشر وتورطهم بافعال حريتهم فان الكنيسة امينة اقوال الله والمدافعة عن دين الله لم تاخذ قط سلاحًا للمدافعة سوى الاقناع وفي تبشيرها وانذارها ومجاماتها عن الدين قد تسلحت بهذا السلاح واذا ما اضطهدت وقامت ابواب الجحيم عليها احتملت وقاست واحتجت على المغتصبين على ما تراه منها الان في اضطهاد نقاسيه لكنها لم تتقلد سيفًا ولم تعتقل رماحًا ولم تسفك

دمًا ولم تبح الدم ولم تطلق الحرية لابنائها بارتكاب القتل واتباع الاميال المنحرفة

اي نعم لو علمت الكنيسة عن الحرية ما علمه ايمة الابروتستانية لكانت هذه بيعة الله بل لله تعالى نفسه مواخذين بافعال حرية المؤمنين وليس كذلك الابروتستانية التي قد راينا مبتدعيها يحثون تبعتهم على حمل السلاح وسفك الدما والانتقام حتى حركهم لوتيروس على قتل البابا نفسه وقال بحسب مالوف تعبير الانيس اللطيف بما انه مصلح الدين المسيحي: ان البابا هو ذئب وجب على الناس جميعًا ان يجردوا السلاح عليه ولا ينتظرون امر ارباب الاحكام ولا لوم في ذلك على انسان ولا يلحق الندم الاَّ بمن تقاعد عن طعن هذا الذئب بالحراب: وقال لتبعته ان ينهضوا على البابا ويبن ويعاملوهم معاملة روساء اللصوص ولو كانوا ملوكًا وسلاطين وقد هيج الملوك على البابا لاون العاشر وجماعة الكاثوليكيين وقال: لو كان الملوك رجالاً حقًا لوثبوا باسم مسيح الله على هولاء الشياطين: هذه اقواله حرفيًا

ولا عذر للابروتستانت بقولهم ان مثل هذه الاقوال انما نطق بها امامهم حنقًا وان هي الاَّ عن اخلاقه الشرسة فحبذا لو وقف لوتيروس وجماعته عند مجرد المقال ولم يلحقوه بالعمل فليقل لنا هولاء الاقوام متى كفوا عن سفك دما الكاثوليكيين افما انهم في عهد حبرية البابا بيوس الخامس قتلوا ٤٠ مرسلاً كاثوليكيًا من الرهبنة اليسوعية حملتهم السفينة الى الاقطار الاميركانية فما وصلت بهم قبالة مدينة بالما من جزائر كناريا الاَّ وقد امر جاك سوري الابروتستاني جماعته بقتلهم وتغريقهم في البحر لعمري وما ذنب هولاء الشهداء فانهم كانوا قاصدين ان

يبشروا بالانجيل شعوبًا همجة فعاملهم القبطان المذكور وفقًا لتعليم مذهبه فبعثهم شهداء الى السماء وقد شهدت السماء باستشهادهم حتى ان القديسة تريزيا رأتهم وهي في الاقطار الاوربا وية ساعة قتلهم وقد نزلت ملائكة الله وكللتهم باكليل المجد وصعد هولاء الشهداء الى السماء وخلل الاستشهاد بايديهم فهولاء شهداء حقًا وقد اتفقت على استشهادهم الكنيسة اجمع اما الخادم الابروتستاني الذي جعله منشي الاسبوعية شهيدًا فقد لا يتفق على استشهاده اثنان من الابروتستانت انفسهم . ارايت يا هذا كيف يأمر مذهبك بالقتل وكيف سفكتم دما الكاثوليك وناهيك عما عاملتموهم به في انكلترة وهولندة وبلجيكا من الظلم والاغتصاب حتى اذقتموهم مر العذاب وهم كالحملان قد سيقوا الى الذبح

وغب ان قص منشي الاسبوعية قصة المرسل المذكور ختمها بقوله ليس اسطفانوس وحده كان اول شهيد بايدي البابا ويين بل في ١٨٤٧ قتل في الهند الدوكتور ويلمان وزوجته بدسائس اليسوعيين

قلت هذا ياصاح فاين الدليل على زعمك واين الحجة الراهنة عن هذا مقالك فاننا ننديك الى البرهان هل تأتينا بحجة تقنع العاقل بما تدعيه فمن عوائدك ان تقذف ما لا يليق بالعاقل تصديقه واذا ما طلب منك برهان تجلببت بجلباب الحيادة ولازمت الصمت . ولم يكتفِ المنشي المزبور ان يعزي لليسوعيين قتل المرسل المرقوم بل قد انهى كلامه قائلاً . اوقى الله الناس جميعًا من شرهم . حذار حذار ياصاح من ان يرد الناس عليك هذا سلاحك ويقولون عنك ما تلقنهم لان يقولوه عن غيرك

الفصل السابع والعشرون

في ما طلبه بعض مطالعي البشير بخصوص حرية الافتكار والايمان

قد سررنا لما كدنا ان كثيرًا من العقلاء الادباء الشهيرين علمًا ومعارف قد سروا باطلاعهم على قطع نشرناها في التمدن وحرية الافتكار فامعنوا النظر بها ووعوها بل قد وزنوها بميزان الانتقاد فقالوا وقد بلّغونا مقالهم انه لبحث جليل في قضايا جليلة وقد ارضى البشير خواطرهم بتكلمه وطريقة تكلمه عن هذه الحقائق السنية غير انهم طلبوا منا ايضاح ما ياتي اذ قالوا : لقد تحقق لدينا ان لله تعالى الحق بان يطلب من خليقته الناطقة الاذعان لاقواله الالهية والخضوع لاوامره العلوية غير انه قد اعجم علينا كيف ان النطق المتوجب عليه هذا الاذعان وهذا الخضوع لاتمس حريته بادائهما او كيف يتفق الخضوع الاعمى مع حفظ حقوق النطق

قلنا : لا الذ من اعتراض صوابي على حقائق صوابية ولذا حمدنا من حضرة المعترضين اولاً لاثنائهم على فضلنا في تكلمنا في هذا الموضوع ثانيًا لطلبهم منا ايضاحات تعلقت بحقائق ذات اهمية خصوصًا اذ قد رأينا روح الله القدوس نفسه قد راعى حرية النطق البشري فقال في سفر حكمته السنية انك بمراعاة تدبرنا (١٢ : ١٨)

فقد اراد تعالى ان تذعن خليقته الناطقة لحقائق الايمان اذعانًا مطلقًا عاريًا عن كل تردد وارتياب ولا غرو ان النفس الناطقة ان اعتمدت على القوانين النطقية ولم تضل بالاعوجاجات السفسطية تقر

معترفة بهذا الامر على ما يطلبه تعالى منها ولا محل للخلاف ولاجل ان يتضح لنا ذلك فيقتضي ان نسال متى وكيف يامر الله تعالى خليقته الناطقة ان تخضع نطقها كل الخضوع معتمدة على انوار الله تعالى لا غير. فان اله الانوار يطلب ذلك الاذعان من خليقته الناطقة متى توصل النطق الى حدود رسمها له تعالى فان اله النور غير المتناهي قد اعطى الانسان نورًا من نوره لكنهُ نور متناهي وفقًا لطبع الانسان المتناهي على ما قاله المرتل: قد ارتسم علينا نور وجهك يارب (مزمور ٤)

فاذا ما اراد تعالى ان يطلع الانسان على ما هو فوق وسعه انما يقر النطق نفسه بعدم مقدرته طبعًا على ذلك اذ كانت تلك الحقائق فوق حدود امكانيته ولذا وجب عليهِ ان يعتمد على صدق الله موحيها

فان النور المعطى للانسان على ضربين نور طبيعي خلقه الله عليهِ ونور فائق الطبيعة يفيضه ابو الانوار فيهِ وكلاهما من ينبوع واحد وهو اله النور بالذات ولما كانت اعمال الله كلها بحكمة كانت جميعًا تناسب بعضها بعضًا ولا تناقض بينها فاذ كان الله هو المانح النور للانسان فهل يضاد نور خلق الله الانسان عليهِ نورًا القاه تعالى فيهِ

فبناء عليهِ قد اراد تعالى ان من عري من الايمان يبحث اولًا بحثًا مدققًا مبنيًا على الاصول النطقية وعلى قدر ما في وسعهِ طبيعيًا فمتى تحقق العاقل ان حقائق فرض عليهِ الاذعان لها وان اوامر فرض عليهِ الخضوع لها هي حقيقة من الله وبالهام الله وبوحي الله حينئذٍ طلب منهُ تعالى ان يوقن ويؤمن ويذعن ويخضع اذعانًا وخضوعًا نامين عاريين عن كل شك وارتياب وبالاجمال ان تكون طاعته عمياء فانه تعالى على ما قاله علماء اللاهوت قد اعطى الحرية التامة للنطق

البشري في ان يبحث ويدقق في اقوالهِ الالهية ما دام الانسان في مدخل هيكل الايمان لكنه متى دخل الهيكل وقام فيهِ ترتب عليهِ ان يحني رأسه امام جلالة اله الجود والمراحم الذي ارتضى بوافر سخائهِ ان يوحي الينا حقائق اسراره الالهية حتى يظهرها لنا اظهارًا جليًا تامًا في الاوطان العلوية

ولنا في هذا الشان شهادة راهنة فاه بها هام الكنيسة الكاثوليكية المالك سعيدًا في منشور عام بعث بهِ لدى جلوسه على السدة الرسولية الى غبطة البطاركة وسيادة الاساقفة ورؤساء الاساقفة ورعاة بيعة الله المقدسة جميعًا وقد ذكر فيه تلك الافة الجسيمة القاصدة خراب المسيحية والالفة البشرية وقد دل عليها بالبنان وهي احتيال اهل الاحتيال بفصل الايمان عن نطق الانسان وجعلها نقيضين لبعضهما ينكر الواحد ما يوجبه الاخر على ما زعم فلاسفة العصر الدهريين القائلين ان حياتنا الدنيا

قال قداسة حبر الاحبار في منشوره العام المبرز في ٩ ت ٢ سنة ١٨٤٦ : قد ارتعدت منا الفرائص نفورًا واستولت علينا الاكدار والاحزان لدى تاملنا اضاليل فظيعة تسعى في ان تزعزع الدين الكاثوليكي والالفة المدنية وتخربهما من الاساسات ان امكنها ذلك

واخذ قداسته يسهب بايضاح هذه المعاني الى ان مس الافة باصبعه وذكر اقوامًا يسعون بانتشارها مكرًا وخداعًا فقال عنهم : لاجل انهم يخدعون الشعوب ويجذبون اليهم العارين عن المعرفة والاختبار زعموا انهم هم وحدهم عليمون بطرق الغبطة وسبل السعادة وادعوا لانفسهم اسم فلاسفة كما لو كانت الفلسفة التي انما مدارها البحث في الحقائق

الطبيعية يحق لها ان ترذل ما شاء اله الطبيعة وخالقها بوفور مراحمه وفيض سخائه ان يوحيه لعباده فلما كان القوم قد داسوا جميع اصول البرهان اخذوا يعتمدون على مقدرة النطق البشري وسموه فانهضوه على ايمان المسيح المقدس وانقضوا قائلين ان هذا الايمان الشريف يضاد انوار العقل فبالحقيقة لا يمكن ان يتوهم الوهم شيئًا اكثر جنونًا وحماقة واشد كفرًا ونفاقًا واقوى مضادة ومعارضة للنطق البشري اكثر من ذلك فانه وان كان الايمان فوق النطق فلا يمكن وجود تضاد او تناقض بينهما لان كليهما عن مصدر واحد لا يتغير وهو اله الحق الازلي السرمدي

ثم اخذ يبين وظيفة النطق ليتاكد هذا النطق حقيقة انزال الوحي فقال : اي نعم لاجل ان لا يخدع النطق البشري بامر هكذا جزيل الاهمية وجب عليه ان يبذل المجهود في البحث عن صحة الوحي الالهي لكي يتاكد بان الله تعالى هو الذي قد تكلم وبذلك يكون اذعانه لكلام الله تعالى صوابيًا على ما علمه الرسول المصطفى

ترى من لا يعلم ويعهد ان كلام الله تعالى يستلزم كل اليقين وتمام الايمان وان لا شيء يوافق النطق ويلايم العقل من الارتياح والخضوع العارين عن كل شك وارتياب لاعتلانات اعلنها الله الذي لا يغش ولا يُغش

فبالكثرة الادلة الجلية العجيبة وبالعظم البراهين الواضحة السديدة التي من شانها ان تقنع النطق البشري كل الاقناع بكون الدين المسيحي هو الهيًا وبكون جميع الحقائق التي نوقن بها هي عن مصدر الهي

الى ان قال قداسته مع الذهبي الفم : متى اقتنع النطق البشري

بالادلة الواضحة والبراهين الراهنة ان الله تعالى هو رب الايمان لا يليق بهذا العقل ان يرتفع فوق الايمان بل وجب عليه ان يدوس المشاكل ويبرذل الشك ويخضع للايمان موقنًا بان الدين لا يقدم شيئًا للايمان والعمل الاَّ وقد كان من الله تعالى . اه

الفصل الثامن والعشرون

في براءة بيوس التاسع الى جمعية طبية كاثوليكية وفي غاية مدرسة ابروتستانت بيروت الطبية

قد ذكرنا في الفصل السابق ما ابداه بيوس التاسع خليفة الصفا لدى جلوسه على السدة الرسولية وقد ابان هذا راعي الرعاة لخراف الرب تلك مراعي الموت التي زرعتها الاعصار المتأخرة في حقل العلوم والمعارف وها ان هذا الراعي الغيور لم يبرح دائمًا وابدًا على مثال سالفه بطرس صخرة الايمان يحذر الانفس المشتراة بدم فادي البشر من مكائد المحتال ودسائس الشرير خصوصًا في براءته بتاريخ ٢٣ تموز سنة ١٨٧٤ التي تكرم بها على الجمعية الفلسفية الطبية المنشاة حديثًا في ايطاليا ومن منطوقها الشريف ما وقع احسن موقع نظرًا لحال كاثوليكي سورية خصوصًا كاثوليكي بيروت الذين نصبت لهم المدارس الابروتستانية ولاولادهم فخاخ الضلال وقد احتالت على اقتناص الانفس بشباك العلوم

وهاك ما تكلم عنه قداسة الاب الاقدس في هذه البراءة الشريفة وهو ان الرجل الوفير الخبرة الفونسيوس ترافالبني العلاَّمة طبًّا وجراحةً

قد انشا جمعية تالفت من مشاهير الكاثوليكيين في العلوم الطبية واما غاية هذه الجمعية فهي ترجيع العلوم الطبية الى صحيح المبادىء الفلسفية الكاثوليكية الخلاصية تلك التي لقد طالما ابتعد عنها الطب مذ امد مديد فاثنى قداسة الحبر الاعظم على هذا المقصد الجليل وصدق عليه كل التصديق وقد كرر في براتو بهذا الشأن اعتبارات نادى بها مذ جلوسه على سدة الحق وابان عظيم الاخطار وجسيم الاضرار اللاحقة بالشبان الدارسين التي يتدهورون بها لتغافل ابائهم اذ لا يبعدونهم عن تلك مراكز المعارف والعلوم الساعية بدسائسها المكرية في اقتلاع غرسة الايمان الصحيح من القلوب وبذلك اهلاك النفوس

قال قداسته : انه على هذه الصورة اي بموجب الغاية التي قصدتها الجمعية المذكورة تعوض تلك الاضرار التي سببها مذهب الماديين للدين والمعارف ولا غرو فان العلوم الطبية باستنادها الى الحق وابتنائها عليه تبدد ظلام الاضاليل وتسير في طريق الفلاح الحقيقي ولما كان الحق هو من الاله الحق على ما يعلمه جليًا علماء اللاهوت كان ممتنعًا الاختلاف والتناقض بين الحق والفلسفة الحقيقية والنواميس الطبيعية . اه

فاذا كان ذلك لاق بكاثوليكي سورية وشبانها الدارسين ان يعنوا النظر بهذا قول راعي رعاة النفوس ويهتدوا الى الحق مبتعدين عن تلك المراكز العلمية المستعملة العلوم لبث الاضاليل

ومما صرح به قداسته في براتوه الشريفة قوله : ان المراد بهذه الجمعية التوصل لتبديد الضلال بالاطباء انفسهم (الذين لقد طالما ابدعوا اضاليل المادية ونشروها) وان يسعوا باقامة التعليم الحق على اس

جوهر الاشياء واصلها ومن ثم يأتي الدواء من حيث قد تأتى اكثر الداء . اه

ولقائل ان يقول ان قداسة الاب الاقدس قد اعنى في برائه المذكورة عن اضاليل الماديين المدخولة في العلوم الطبية وهل يعلّم الابروتستانت في مدرستهم ببيروت هذه المبادي المادية قلنا معاذ الله من اننا نعزي لاخصامنا ما ليسوا عليه ونحذو حذوهم فنتسلح باسلحة الافتراء بل اننا نقول : تنوعت الاسباب والموت واحد فموت الانفس انما يتاتى عن الضلال والانحياز عن صرط الايمان المستقيم وما نعلمه حسنًا ونعهده جيدًا ان الابروتستانت قد استعملوا تدريسهم الطب وسيلة لاحادة الكاثوليكيين عن ايمانهم القويم وان هذه غاية مدرستهم المذكورة وليس هذا قولنا قيلًا عن قال ولامجرد وهم واشتباه ولا افتراض وتخمين بل انه لقول بني على مجرد قرارهم وتصريحهم في لائحة علومهم بمدرستهم المذكورة وقد طبعت في اللغة الانكليزية وعنوانها مدرسة الابروتستانت في سورية وذكروا فيها اسماء مدبريها ومعلميها وما يعلمون فيها في مدة كل سنة اشهر وقد اسهبوا في ذلك كل الاسهاب وذكروه بجميع تفاصيله واذا ما رمت ان تعلم لماذا عول هولاء الاقوام منذ سنة ١٨٧٠ على تعليم الطب في مدارسهم والحقوه في سائر العلوم الاخرى التي كانوا يعلمونها فيها فتراهم هم انفسهم قد اعربوا عن بعض نيتهم وقالوا ان من اخص مقاصدهم استعمالهم علم الطب واسطة فعالة تفعل بايمان ومعتقدات شعوب سورية لتهدم بكل سهولة الايمان الكاثوليكي في هذه الاقطار . افا انه لايضاح جلي ولاجل ان ترتفع كل شبهة بهذا الشان ونتضح غاية هولاء الاقوام وطرق استعمالها لذلك

ذكرنا لمطالعيه كلام هولاء الابروتستانت حرفيًا . قالوا في لائحة مدارسهم المطبوعة بالانكليزية

معلوم هو ان الطبيب في المشرق كثيرًا ما يدخل في ابواب تسد على المرسل فبناء عليهِ واملاً بان ابناء الوطن الاتقياء يستطيعون ان يتاهبوا لامر ذي فائدة اولى كان هذا الامل هو احدى النوايا المقصودة بانشاء هذه مدرسة الطب . اه

واذا ما رام اباء الاولاد الكاثوليكيين الاطلاع على وسيلة تستعمل في هذه مدرسة الطب نحو اولادهم لتسلب منهم اثمن النعم التي اقتبلوها من يد الله الكريم اهداهم الى ذلك الابروتستانت المذكورون انفسهم واوضحوه لهم كل الايضاح بقولهم في هذا الشان

اننا لم نطلب الارتداد الى الابروتستانية صريحًا ولم نفرضه على تلامذتنا بل نعتني باتصالية المعلمين مع تلامذتهم في المدارس وفي غيرها خصوصًا في اعمال هذه المدرسة وقوانينها ان نبين لهولاء الدارسين سمات الحقيقة الانجيلية الممتازة بها عن غيرها فمن ثم نطلب من جميع الدارسين حضور الصلوات صباحًا ومساء وان يحضروا ايضًا الخدمة الابروتستانية ومدارس الكتاب تلك التي تصير في يوم السبت وان يحضروا تلاوة الكتاب وقرائه التي تصير في بحر الاسبوع هذا وان الكتاب هو المعول عليهِ استعمالاً في ايدي الاولاد في المدارس

لعمرك الله هل قد اتضح الامر لاعين اباء العائلات الكاثوليكية وهل من لهُ باصرتان قد بصر وهل عرف هولاء الاباء مستقبلاً اعدوه لاولادهم بتسليمهم اياهم لايدي معلمين يصرحون علنًا بانهم يسعون بهدم ايمانهم ومن ثم بهدم بنيان خلاصهم الابدي افما يهدم الاباء ايمان اولادهم

ويسببون هلاكهم بايديهم اذ سلموهم لمن يعلمونه علم الطب في هذه المدرسة الطبية ببيروت